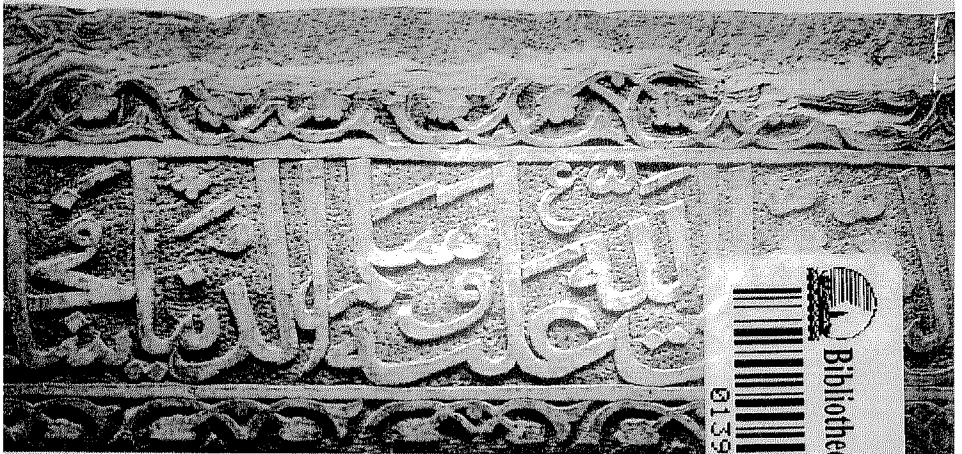
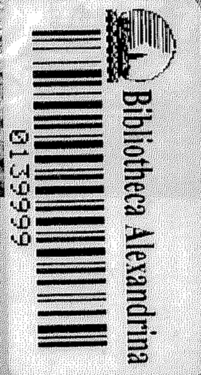
مأمون غريب

أبو الحسن الشاذلى

حياته .. تصوفه .. تلاميذه وأوراده



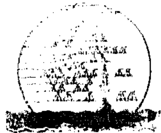


دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

مأمون غريب

أبو الحسن الشاذلى

حياته .. تصوفه .. تلاميذه وأوراده



دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الـكـتـاب : أبو الحسن الشاذلى حياته .. تصوفه .. تلاميذه وأولاده
المؤلـف : أ / مأمون غريب
رقم الإيداع : ٢٦٦١
تاريخ النشر : ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 487 - 0

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة
الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)
ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤
التوزيع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة
ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩
إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحببت الصالحين وسيرة حياتهم، ومجاهداتهم للنفس والهوى والشيطان؛ ابتغاء مرضاة الله .. فهؤلاء الصالحين هم القدوة والمثال؛ لأن حياتهم كانت إثراء للحياة.. فعاشوا بالله ولله، فأحبهم الله، وأحبهم عباده، فعاشوا فى ضمير الناس؛ لأنهم كانوا أنفع الناس للناس أيضًا .

وربما الذى جعلنى أتعلق بهؤلاء الناس من أولياء الله وأحبائه؛ نشأتى فى الريف، ورؤيتى لمواكب الطرق الصوفية عند الاحتفال بالمولد النبوى الشريف، أو عند إحياء موالد الأولياء فى القرية .. كنت أرى فى طفولتى رجال الطرق الصوفية بأزيائهم الغريبة، وهم يحيون هذه الموالد بالأذكار، فكان يطيب لى أن أجلس وسط الذاكرين ، وأسمع المنشد وهو يرتل ابتهالاته .. وعلى البعد يجلس شيخ الطريقة يراقب الذاكرين .. ويحيط به الأتباع والمحبون.. ويظل هذا المشهد يستهوينى إلى أن تنتهى هذه الاحتفالات قرب الفجر .. وأعود إلى المنزل سعيدا بما رأيت وسمعت عن كرامات الأولياء..

ومضت بى الأيام .. وأخذت فى دراسة التصوف.. وكيف اتخذ الصوفية من الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام إماما لهم: فقد كان أتقى الناس، وأخشى الناس لربه، وأكثرهم عبادة وقياما وصياما وزكاة رغم أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. وعندما كانت تسأله السيدة عائشة - ألم يغفر الله ما تقدم من ذنبك؟

كان يقول :

-أفلا أكون عبدا شكورا ؟!

فكان الرسول الأعظم يقوم الليل، ويصوم النهار، بجانب جهاده ضد الشرك والكفر والنفاق.. فما أكثر الغزوات والحروب التى خاضها دفاعا عن الإسلام! ومع كل هذا الجهاد كان أنسه بربه يتجلى فى صلاته وقيامه الليل، وكثرة ذكره لربه واستغفاره.

اتخذ الصوفية من الرسول قدوة.

كما اتخذوا من أصحابه أيضا قدوة .. فمنهم من كان يقتدى بالرسول فى كثرة تعبده وتهجده وقيامه .. ومنهم أيضا من زهد فى الدنيا رجاء الآخرة دون أن يخرج عن إطار ومنهاج الإسلام فى العبادة، والأخذ بالأسباب. وبدأ التصوف زهدا عند الحسن البصرى، ثم حبًا فى الله كما رأينا عند رابعة العدوية.. ثم تشعبت المناحى عندما تحول التصوف متأثرا بالفلسفات الأجنبية إلى تصوف يمتزج بالفلسفة، فدخلت فيه تلك الشطحات والأفكار

الغربية، فرأينا من يتحدث عن وحدة الوجود .. والحلول .. والاتحاد. !

وقد أزعجتنى مثل هذه الألوان من التصوف؛ لما فيها من انحراف عما جاء به الإسلام من بساطة وعمق وتوحيد .. وقد درست بعمق مختلف التيارات الفلسفية التى تسللت إلى التصوف .. وتوقفت عند الشطحات ، ولكن نفسى لم تطمئن إلى هذه الألوان من التصوف .. ولا حتى التبريرات التى كان يحاول أساتذة الفلسفة أن يبرروا بها رؤى هؤلاء المتصوفة المتفلسفون .. كنت أوثر دائما التصوف الذى لا يخرج عن إطار الكتاب والسنة، بعيدا عن شطحات الخيال، وتوهم الأفكار !

ومن هنا فقد أعجبتنى شخصية الإمام أبى حامد الغزالى..بعمقه ووعيه ودراساته الجادة

لكل علوم عصره وفلسفاته، بل وشكِّه، الذى خرج منه بيقين عميق، وإيمان راسخ، وصدق مع النفس .. فقد هاجم الفلسفات الإلحادية والتى تقول: بقدم العالم، وهاجم الباطنية والذين جنحوا إلى الخرافة والأوهام، وتمسك بالتصوف السنى . . التصوف الذى لا يخرج عن كتاب الله وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

فقد كان يرى أن الله عندما يرضى عن عبد يشرح صدره للإسلام .. والشرح هو أن يقذف الله نوره فى القلب وعلامة ذلك التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود.

لقد خرج الإمام الغزالى إلى: أن الطريق السليم الذى ينبغى أن يسلكه الإنسان هو: طريق الصوفية .. بما فيه من صفاء نفس واتكال على الله، وإيمان بما عند الله، وبما يمكن أن يصل إليه الإنسان من علوم لَدُنِّية .. فهو القائل :

« .. فإنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرح من العلماء؛ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هوخير منه، لن يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة »

أحببت التصوف السنى .. التصوف البعيد عن الشطحات والبدع والخرافات .. والذى يرى أن الدنيا مجرد جسر إلى عالم خالد .. والعاقل من عمل لدنياه، دون أن يغفل عن العمل من أجل آخرته، بأداء الفرائض التى فرضها الدين الحنيف .. والتمسك بما أحلّه الدين، والبعد عما حرّمه، مع زيادة فى العبادة بالإكثار من النوافل وذكر الله؛حتى يقترب من الله .. وأن يعبد الله كأنه يراه فإذا لم يكن يراه فالله يراه . . ومن هنا فقد أعجبت بالعديد من أعلام الصوفية ممن نهجوا هذا المنهاج ومنهم أبو الحسن الشاذلى.

قرأت سيرة حياته من خلال العديد من المؤلفات التى تحدثت عنه، وعن فقهه وتصوفه، وحبه للناس، وسفرياته الطويلة من المغرب إلى تونس، إلى الواق، وعودته مرة ثانية لتونس ، ثم مجيئه إلى مصر ومعه بعض مريديه من أمثال تلميذه وخليفته أبى العباس المرسى .. أستاذ الصوفى الشهير ابن عطاء الله السكندرى صاحب الحكم المشهورة .

وتلاميذ الشاذلى كانوا كما كان يصفهم: كتَبه؛ فكان يقول :

- « كتبى أصحابي »

لقد استقر به المقام على أرض مصر، وعاش فى الإسكندرية، والتف حوله تلاميذه بها، وكانت مدرسته الصوفية منارة لكل من يريد أن يعرف لذة القرب من الله .. كما عاصر الشيخ محاولة لويس التاسع غزو مصر، عندما تسلل بجيوشه إلى أرضها ، وَهُزم هزيمة منكرة وأسر فى المنصورة .. وكان الشيخ الشاذلى قد امتدت به أيام العمر ، وفقد بصره، ولم يمنعه هذا من الذهاب إلى المنصورة؛ مشجعا المجاهدين على التصدى لهذا الغزو الصليبى، ودفاعا عن الإسلام والمسلمين .. !

لم يقبع الرجل فى الإسكندرية متعللا بفقدان البصر، أو التقدم فى السن، بل كان الدافع فى أعماقه، وإيمانه بدينه، وأفعاله أن يكون مع شيخ الإسلام العز بن عبد السلام وغيره من العلماء

الذين كرسوا حياتهم للجهاد فى سبيل دينهم، وأن يكونوا فى الصفوف الأولى مع المجاهدين فى سبيل الله .

وفى ثرى مصر الطاهرة .. وسد الرجل تراب مصر عندما ذهب حاجا إلى بيت الله الحرام، وعند حُمَيْثرة بالقرب من البحر الأحمر، وافته المنية .. حيث يوجد قبره ومسجده . وقد وافته المنية سنة ٦٥٦هـ. وأوصى أن يخلفه (أبو العباس المرسى ومعروف أن الشاذلى ولد فى عام ٥٩٣ هـ .. أى : أنه عاش فى دنيانا ٦٣ عاما ترك خلالها بصمات لا تمحى فى تاريخ التصوف العملى) .

مأمون غريب

أبو الحسن الشاذلى ...
حياته وتصوفه



(١)

ازدهر التصوف الإسلامى والطرق الصوفيه فى القرنين السادس والسابع، بفضل الإمام الغزالى، الذى انتشر فكره الصوفى المستمد من الكتاب والسنة .

والطرق الصوفية التى انتشرت فى المغرب والمشرق العربى على السواء، كانت تعتمد على شيخ معين، له مريدوه، وله أوراده الخاصة، وهؤلاء المريدون يعبدون الله فى الزوايا، أو الأماكن المخصصة لهم حيث يتدارسون العلم أو يذكرون الله.

وكانت الطرق الصوفية - وما تزال - تهدف إلى تغليب الجانب الروحى للإنسان، عن طريق العبادات والأذكار والتمسك بقيم الإسلام وفضائله وتعاليمه.

وقد كثرت الطرق الصوفية فى القرنين السادس والسابع كالطريقة القادرية نسبة للشيخ عبد القادر الجيلانى والطريقة الشاذلية التى تنسب إلى أبى الحسن الشاذلى .

والشاذلى الذى نحن بصدد الحديث عن حياته وتصوفه

ورحلة عمره، وما ترك من بصمات فى عالم التصوف اسمه كما أوردته الكتب التى تناولت حياته:

على بن عبد الله بن عبد الجبار .. وينتهى نسبه إلى الحسن بن على وقد ولد فى المغرب سنة ٥٩٣ هـ بقرية غماره.

وفى هذه القرية بدأت حياته العلمية عندما بدأ يتعلم القراءة والكتابة، ثم حفظ القرآن الكريم، وبدأ يتفقه فى أمور الدين .. ثم جرفه الحنين إلى عالم الصوفية بما فيه من أنوار، وهنا تاقت نفسه إلى معرفة أسرار الطريق .

ولكن كيف ؟

هل ممكن أن يصل إلى مبتغاه فى القرب من الله، والاعتكاف على العبادة لا شيخ يدلّه على الطريق السليم ..

وهداه تفكيره أن يذهب إلى العراق .. فالعراق بلاد العلم والتصوف .. وهى مليئة بالعلماء ومليئة بالأولياء الصالحين .

وسرعان ما استجمع إرادته وذهب إلى الطريق.. وهناك التقى بصفوة العلماء، وأرباب التصوف على رأسهم أبو الفتح الواسطى الذى أعجب به أبو الحسن إعجابا شديدا .. أعجب بعلمه .. وأعجب بتقواه .. وظل أبو الحسن الشاذلى فى بغداد لعله يجد هذا الشيخ الذى يأخذ عليه العلم والتصوف، إلى أن همس

فى أذنه أحدهم ناصحا له أن يعود إلى بلاده، فإنه سيجد مبتغاه بها .

وعاد الشيخ إلى المغرب ..

وفى المغرب التقي بمن أصبح شيخه فيما بعد. إنه عبد السلام بن مشيش .

وعندما التقى به الشاذلى فى مغارته التى يتعبد فيها فى تونس بهره علمه وتقواه، وعميق معرفته بالتصوف السنى، ورؤيته أن التصوف الحقيقى هو النابع من كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

واستمع إلى نصائحه ..

ومن هذه النصائح :

أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة .

الأربعة : المحبة لله .. والرضا بقضاء الله، والزهد فى الدنيا، والتوكل على الله .

والأربعة الأخرى :

القيام بفرائض الله .

واجتناب محارم الله .

والصبر عما لا يعنى

والورع من كل شيء يلهى

وتمضى به الأيام وهو فى صحبة شيخه .. يتعلم منه ويتأسى بسلوكياته، ويراه عن قرب ويستمع إلى نصائحه ويحفظها ويضعها نصب عينيه، حتى يتقدم فى الطريق .. حتى نصحه شيخه بقوله :

يا على، ارتحل إلى أفريقية، واسكن بها بلدا تسمى: شاذلة؛ فإن الله عز وجل يسميك الشاذلى.

ونصحه شيخه أن ينتقل بعد ذلك إلى تونس ، ثم ينتقل بعدها إلى المشرق .

حدد له شيخه مسار حياته؛ وكأنه يرى بنور الله ماذا ستكون عليه أيام الشاذلى .

وكان لابد للشاذلى أن ينفذ رغبة أستاذه .. وكان لابد أن يرحل إلى شاذلة التى سوف تلازم اسمه طوال حياته . وكان لابد أن يستمع النصيحة الأخيرة لشيخه عندما طلب منه الوصية .
قال له الشيخ :

- يا على ، الله الله، والناس الناس .. نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التمايل من قبلهم وعليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عندك.

ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك، وقد تم ورعك. وقل : اللهم ارحمنى من ذكرهم، ومن العوارض من قبلهم، ونجنى من

شرهم، واغننى بخيرك عن خيرهم، وتولنى بالخصوصية من قلبهم، إنك على كل شيء قدير »

وتوجه الشاذلى إلى تونس .. واتخذ مقره جبل زغوان .. حيث أتيح له التأمل والعبادة، وصحبه رجل صالح هو أبو محمد الحبيبى .

كانت هذه الفترة التى قضاها على الجبل عابدا .. ومفكرا فى ملكوت الله، وسيلة لأن تكشف روحه، وتصفو نفسه إلى أن وجد في نفسه أن ينزل إلى دنيا الناس؛ لينتفعوا بثمرات علمه، وأن يتوجه إلى تونس.

وما كان لرجل فى علم وتقوى وصلاح الشاذلى إلا أن يلتف الناس حوله .. وكان من الطبيعى وقد ازداد من حوله المريدون، أن يجد من يكن له الغيرة..!

وقد غار منه بالفعل أبو القاسم بن البراء، فقد كان قاضي الجماعة، وقد أوغر صدره التفاف الناس حول الشاذلى وأراد أن يوقف نفوذ الشاذلى فدس له عند السلطان وأخذ يردد أمام مسامعه أن الشاذلى ما هو إلا مجرد جاسوس يعمل لصالح الدعوة الفاطمية .. فهو قادم من المغرب، ويقول إنه ينسب إلى فاطمة الزهراء .. وأن نسبه ينتهى إلى الحسن بن على .

ودخلت هذه الحيلة على السلطان.. وخاصة أن قاضى القضاة هذا أخذ يكيل التهم عن الشاذلى، ويتهمه اتهامات باطلة لا

أساس لها من الصحة .. يمليها حقده على هذا الذى بهر الناس بحسن حديثه ومنطقه، وبعده عن توافه الأمور .. وإخلاصه العبادة لله.

وكانت محنة للشاذلى .

فقد أمر السلطان بعض العلماء أن يقوموا باستجواب الشاذلى ومحاولة معرفة حقيقة الأمر.

ووجد الشاذلى أنه أمام امتحان ..

ووجهت إليه العديد من الأسئلة .. إنهم يحاولون إلصاق التهم به.. ولكن الشاذلى أجاب على كل سؤال بثقة وإيمان بأنه مظلوم .. وأنه ما جاء هنا.. إلى تونس جريا وراء منصب أو جاه أو سلطان .. وأن ما يحدث له نوع من الابتلاء الذى أخبره عنه شيخه ابن مشيش عندما قال له: إنه سينتقل إلى مدينة تونس، ويؤتى عليك بها من قبل السلطان »

وها هو السلطان وقد أوغر صدره عليه قاضى القضاة ابن البراء.

وها هم العلماء الذى جمعهم السلطان لمحاكمته أو معرفة أمره يحاصرونه بالأسئلة .

ولكن الله معه .. فقد كان السلطان يستمع من وراء ستار إلى ما يدور بين الشيخ وبين من جمعهم ابن البراء لمناقشة ومحاولة الإيقاع به - وإذا بالسلطان أبى زكريا يسمع إجابات الشيخ فيعجب

بإجاباته، ويعجب بعلمه، كما يعجب أيضا بتقواه التى تتضح من ثنايا كلامه، وأيقن أن الرجل مظلوم، بل إنه قال لابن البراء

- هذا الرجل من أكابر العلماء، وما لك به طاقة. ولكن ابن البراء ما زال يضغن الغيرة على الشيخ الذى أوتى الحكمة والعلم، وشفافية الروح، فأخذ يوغر من جديد صدر السلطان، وإذا بالسلطان يأمر الشاذلى أن يظل فى منزله، فطلب الشيخ سجادة الصلاة وتوضأ وصلى، وتوجه إلى الله بهذا الدعاء

« يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم، أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبى من هم الرزق، وخوف الخلق »،

وأقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك، ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك من نار عدوك.

وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء.

كلا إنى أسألك أن تغنينى بقربك منى حتى لا أرى ولا أحس بقرب شىء ولا ببعده عنى، إنك على كل شىء قدير »

ويطلق السلطان سراح الشيخ عندما أقنعه أخ له بأن الشيخ بعيد من المؤامرات والدسائس، وأنه رجل يعيش لله وفي الله. وقرر

الشاذلى أن يسافر إلى الحج .. وتوجه إلى الأراضى المقدسة عبر الأراضى المصرية، ولكن ابن البراء يرسل إلى سلطان مصر الكامل محمد الأيوبى برسالة يحذره من الشاذلى الذى سوف يقدم على مصر ولكن السلطان عندما يجلس مع الشاذلى، ومعه بعض العلماء يوقن بأن الرجل وقع فريسة حقد قاضى قضاة تونس، وأنه ما جاء إلى مصر إلا كمحطة فى طريقه إلى بيت الله الحرام .. حاجا .. فيكرم وفادته، ويحسن استقباله.

ويتجه الشاذلى إلى الأراضى الحجازية، ويؤدى فريضة الحج، ويعود إلى تونس مرة أخرى .. حيث يلازمه تلميذه أبو العباس المرسى .

وذات يوم يرى الشاذلى الرسول عليه الصلاة والسلام فى المنام يقول له :

-« يا على، انتقل إلى الديار المصرية ترى فيها أربعين صديقا ».

وسافر الشيخ معه أبو العباس المرسى إلى الإسكندرية حيث كان يلقى دروسه فى مسجد العطارين .. وفى الإسكندرية كثر عدد المريدين، وأحبه الناس؛ لتقواه وعلمه وزاره كبار علماء مصر وعلى رأسهم عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، وقد قال عنه الشيخ عز الدين ابن عبد السلام عندما سمع حديثه.

- « اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله »

وهو يعنى أن الشيخ يملك من الصفاء الروحى،ما يجعل كلامه إلهام من الله.

وعاش الرجل فى برج من أبراج السور أوقفه عليه سلطان مصر، وكان دخوله مصر عام ٧١٥ من الهجرة .

وفى مصر أحس الشيخ بالأمن والأمان .. فلا مكائد ولا دسائس .. بل هو متفرغ لعمله فى الزراعة، ويملك من الأرض ما يجعله فى غنى عن الناس، ومن تلاميذه أبى العباس المرسى، وابن عطاء الله السكندرى وغيرهم ممن صاروا أعلاما فى مجال الصوفية .

وكان الشيخ الشاذلى: طويل القامة، أسمر اللون، نحيف الجسم، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين .

وكان كريما .. عطوفا على الفقراء والمساكين .. يسعى لحل مشكلات الناس عند الحكام .. فأحبه الناس، وتقربوا منه .

وكان الشيخ يحب أن يلبس الملابس الجيدة بلا كبرياء عملا بقوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأعراف ، آية (٣٢)

وكان الشيخ يحب ركوب الجياد الأصيلة بجانب لبسه أفخر الثياب .

كما كان يحب الطعام الجيد، والماء البارد وكان يقول لأبى العباس المرسى .

يا أبا العباس ؛ اعرف الله وكن كيف شئت.

وكان يبرر رؤيته تلك للحياة، والاستمتاع بما فيها باعتدال ودون سرف ودون مخيلة بقوله ناصحا أحدهم :

« يا بنى، بَرِّد الماء. فإنك إذا شربت الماء الساخن فقلت: الحمد لله تقولها؛ بكزازة.

وإذا شربت الماء البارد فقلت: الحمد لله؛ استجاب كل عضويتك بالحمد لله .

ويقول عنه الدكتور عبد الحليم محمود :

لقد كان أبو الحسن الشاذلى جميل المظهر، عذب الحديث، فصيح اللسان، غير متزمت فى المأكل والمشرب، يحب الخيل ويقتنيها، ويركبها فارسا، ويركبها فى المواسم الدينية .

هذا هو أبو الحسن فى صورته البشرية الشكلية، ولو كان أبو الحسن هذا فحسب لما ذكرته الدنيا، ولما خلد على التاريخ.

ونتحدث الآن عن أبى الحسن العالم، وعن أبى الحسن الصوفى. يقول سيدى عبد الوهاب الشعرانى:

« بلغنا أن الشيخ الكامل أبا الحسن الشاذلى لما فنى اختياره

مع الله مكث ستة أشهر لا يتحرى أن يسأل الله شيئا فى حصول شىء .

ثم نودى فى سره : اسألنا عبودية لا ترجيح فيها للعطاء عن المنع .

قال : فسألت الله ورجوته امتثالا لا تحجيرا عليه، فإنه يخلق ما شاء ويختار، وليس معه اختيار » اهـ .

ويستطرد الإمام عبد الحليم محمود قائلا :

لقد فنى اختيار أبى الحسن مع الله، وهذه المرتبة لا يتأتى لإنسان أن ينالها ابتداء حياته السائرة إلى الله، لابد أن يسبقها جهاد شاق . كيف وصل أبو الحسن إلى أن يسترسل مع الله على ما يريد فتفنى إرادته فى إرادته واختياره فى اختياره، وأن يكون بالله إيرادا وإصدارا ؟

لقد كان الجانب العلمى من العناصر الأولى التى حددت شخصية الشاذلى . لقد بدأ الدراسة والتحصيل صغيرا، فتثقف كأحسن ما يكون المثقف، لقد تثقف على الطريق العادى فحفظ القرآن، ودرس السنة، درس العلوم الدينية : وسائل وغايات

« ولم يدخل فى علوم القوم حتى كان يعد للمناظرة فى العلوم الظاهرة »

وكان (ذا علوم جمة)

وهو صاحب العلوم الغزيرة .

وقد تدرج في هذه العلوم سلما سلما، ثم أخذ يختار الكتب التى يدرسها ويشرحها وينصح بقراءتها، ويحبب فى أصحابها .

ونعرف مما كتبه الدكتور عبد الحليم محمود عن (أبى الحسن الشاذلى).. أن من هذه الكتب : كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذى، وكتاب المواقف والمخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النِّفرى، وكتاب قوت القلوب لأبى طالب المكى، وكتاب الإحياء للإمام الغزالى.

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود وهو يختتم الجانب العلمى عند أبى الحسن، فيورد ما قاله صاحب المفاخر عنه.

- وهو صاحب الإشارات العلمية، والعبادات السنية، جاء فى طريق القوم بالأسلوب العجيب، والمنهج الغريب الذى جمع بين العلم والمال، أو المهمة والمقال، وتخرج بصحبة جماعة من الأكابر مِثل: أبى العباس المرسى، وأبى العزائم ماضى، وغيرهم، وتُلِمذَ له أعيان كثيرة من أعيان أهل الله تعالى .

★★★

ويبقى هنا جانب هام من جوانب شخصية الإمام الشاذلى .

فهو لم يكن مجرد عالم من علماء الحقيقة والشريعة، ولم يكن مجرد عابد من عباد الله الصالحين الذين وهبوا حياتهم للعبادة وطاعة الله.

ولم يكن مجرد زاهد فى الدنيا، يملك الدنيا ولا تملكه.

وليس مجرد شيخ لطريقة اتبعها عشرات الألوف، وساروا على نهج شيخهم الذى لم يحد فى دعوته عن الكتاب والسنة .

ولكنه كان أيضا مجاهدًا فى سبيل الله .

لا يهرب عندما يجابه الوطن الأخطار بحجة أنه قابع فى محرابه يتعبد لله.

وإنما كان يحض الناس على الجهاد عندما يتعرض الوطن للأخطار .

فها هو قد تجاوز الستين من العمر، وفقد بصره، يعلم أن الفرنسيين بقيادة لويس التاسع، قد جاءوا لغزو مصر باسم الصليب .. فيتوجه على الفور إلى المنصورة، حيث كان هناك علماء الأزهر الشريف، يجاهدون ويحضون الناس على الجهاد .

وكان الظاهر بيبرس مدعما من الشعب وعلمائه يتصدى لحملة ملك فرنسا لويس التاسع.. يؤازره العلماء وأفراد الشعب - كما قلنا - وكان على رأس هؤلاء الناس العز بن عبد السلام، والشاذلى، ومجد الدين القشيرى وغيرهم.

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود :

وشُغِل أبو الحسن بأمر المسلمين ، فكان ليله ونهاره مشغولا بالله فى أمرهم حتى إذا ما أخذته سنة من النوم فى ليلة من

الليـالى، رأى فـيـمـا يرى النائم، رؤًا تتـعلق بحـالة المسلمين فى المنصـورة، ومن ذلك : الرؤيا التى حكاها صـاحب كـتـاب (درة الأسرار) قال :

قال الشيخ أبو الحسن :

كنت بالمنصورة ، فلما كانت ليلة الثامن من ذى الحـجة، بت مشغولا بأمر المسلمين، وبأمر الثغر، وقد كنت أدعو الله وأتضرع إليه فى أمر السلطان والمسلمين .

فلما كان آخر الليل، رأيت فسطاطا واسع الأرجاء، عاليا فى السماء، يعلوه نور ويزدحم عليه خلق من أهل السماء، وأهل الأرض عنه مشغلون فقلت :

- لمن هذا الفسطاط ؟

فقالوا :

- لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فـبادرت إليه بالفرح، ولقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحوًا من السبعين، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام، والفقيه مجد الدين مدرس قوص، والفقيه الكمال بن القاضى صدر الدين، والفقيه المحدث محيى الدين بن سراقه، والفقيه عبد الحكيم بن أبى الحوافز ومعهم رجلان لم أعرف أجمل منهما، غير أنى وقع لى ظن فى حالة الرؤيا : أنهما الفقيه زكى الدين عبد العظيم المنذرى، والشيخ مجد الدين الأخميمى.

وأردت أن أتقدم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فألزمت نفسى التواضع والأدب على الفقيه ابن عبد السلام وقلت :

لا يصلح لك التقدم قبل عالم الأمة فى هذا الزمان، فلما تقدم وتقدم الجميع ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم يمينا وشمالا : أن اجلسوا . وتقدمت، وأنا أبكى بالهم والفرح. أما الفرح فمن أجل قربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب، وأما الهم فمن أجل المسلمين والثغر، وهم طلبى إليه صلى الله عليه وسلم فمد يده حتى قبض على يدى وقال :

- لا تهتم كل هذا الهم من أجل الثغر، وعليك بالنصيحة لرأس الأمر - يعنى: السلطان - فإن ولى عليهم ظالم؛ فما عسى ؟

وجمع أصابع يده الخمسة فى يده اليسرى كأنه يقلل المدة.

وإن ولى عليهم تقى: ﴿ اللهُ وليُّ المتقين﴾[1] وبسط يده اليمنى واليسرى.

وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون - أى العلماء والفقهاء والصالحون الذين بالمجلس - وقال :

﴿ ومن يتولَ اللَّه ورسُولهُ والَّذين آمنُوا فإنَّ حزْبَ اللَّه هُمُ الغالبُون﴾[2]

---

(١) سورة الجاثية ، آية (١٩)

(٢) سورة المائدة ، آية (٥٦)

وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى أهل ولايته ونصح المؤمنين من عباده، فانصحه واكتب له، وقل فى الظالم: عدد الله قولا بليغا :

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴾ (١)

فقلت : نصرنا ورب الكعبة، وانتهيت . ونصر الله المسلمين نصرا مؤزرا، وأسر الملك لويس، وأمر الكثير من قواده، وأشاد الشعراء بهذا النصر .

★★★

هذه الرؤيا توضح كيف كان الشاذلى مهموما بهموم الوطن الذي يعيش فيه .

وكان حريصا كل الحرص أن يتجه إلى ميدان القتال بالقرب من معركة المصير .. يحض الناس على الجهاد، ويساهم على قدر طاقته كعالم وفقيه، وصوفى بأن يكون فى قلب المعركة؛ حتى يكون قدوة للمجاهدين فى سبيل الله .

ولأن الرجل قريب من ربه .. متعلق بجلاله .. شاهد فى الرؤية الرسول عليه الصلاة والسلام.. الذى بشره بالنصر المبين .. على قوى البطش والطغيان ، والذين جاءوا للاعتداء على حرمات المسلمين .. فخذلوا .. وتفرق شملهم .

---

(١) سورة الروم ، آية (٦٠)

وخروج الإمام الشاذلى إلى ميدان المعركة، وحرصه على الانتصار الإسلامى على جحافل الظلام يعنى: أن المتصوف الحقيقى عليه أن يشارك فى الأحداث، وأن يجاهد فى سبيل الله عندما يحين الجهاد، بالضبط كجهاده ضد الهوى والشيطان.

وللصوفية فى الرسول عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى .. فقد جاهد الرسول فى الغزوات التى خاضها ضد قوى الشرك والجهل والجهالة .. وما أكثر الغزوات التى خاضها فى سبيل ودحر قوى العدوان فى بدر، وأُحد، والأحزاب، وحنين، وتبوك، وغير ذلك من المعارك التى خاضها .. لم يتقاعس، بل شارك فى كل الغزوات، وجرح فى غزوة أُحد، حتى أنه قال عليه الصلاة والسلام :

- « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ! »

والرسول العظيم .. والمجاهد الأعظم .. عندما كان يعود من معارك السلاح يقول لأصحابه :

« لقد عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .. وهو يعنى: مجاهدة النفس والهوى والشيطان ».

وهكذا يكون الصوفى الحقيقى .. الصوفى الذى يسير على نهج كتاب الله وسنة رسوله .. لابد أن يكون مجاهدا عندما تحين ساعات الجهاد، ويعود إلى عبادته وورعه وتقواه، عندما تضع الحرب أوزارها .. فيتفرغ لما وهب نفسه له من الطاعة .. وملازمة آداب الطريق .

وكان الإمام الشاذلى من هؤلاء المتصوفة الكبار.. الذين عملوا بالكتاب والسنة .

فهم فى الحرب يهبون للدفاع عن أوطانهم بسلاح الكلمة .. وبالتواجد فى ميدان المعركة .. ولو كان سليم النظر والجسم لحارب بنفسه مع المحاربين.

وعندما عاد إلى الثغر بعد هذه المعركة، وقد خرج بنصر الله، وفرح بما حققه المسلمون من انتصار على جيش فرنسا الذى جاء؛ ليقضى على مصر حتى يتسنى للصليبيين تثبيت مكانتهم فى فلسطين، وليمتد النفوذ الصليبى إلى بقية العالم العربى، سواء فى الشام وسوريا أم فى مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامى .

رجع الإمام الشاذلى إلى الثغر؛ ليواصل مسيرته فى نشر الطريقة الشاذلية، وتربية أتباعه تربية إسلامية خالصة.

وفى سنة ٦٥٦ هـ، أراد أبو الحسن الشاذلى الحج، وتوجه إلى ساحل البحر الأحمر، وعند (حميثرى) أحس بدنو أجله، فأخذ يناجى ربه :

إلهى .. إلهى !

ثم صعدت روحه إلى جوار ربه .

وغسله أبو العباس، ودفن حيث مات، وكانت وصيته قبل موته :

- « إذا مت فعليكم بأبى العباس المرسى ؛ فإنه الخليفة من بعدى، وسيكون له بينكم مقام عظيم، وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى ».

* * *

أبو الحسن الشاذلى متصوفا

(٢)

التصوف كما يقول عنه ابن خلدون :

علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة، وأصله عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: طريق الحق والهداية، وأصلها: العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف، فإنما نشأ الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده، وجنح الناس إلى مخالفة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم: الصوفية والمتصوفة ».

والتصوف أساسه الأخلاق ..

مراعاة الأخلاق فى المعتقدات وفى السلوك وفى أداء ما فرضه الشرع.

وإذا كان الإسلام بما فيه من عقائد وعبادات ومعاملات، وأخلاق يكون الأساس الصالح للفردالصالح ، والمجتمع الصالح .. فإن كل

مـا جـاء به الإسـلام يسـتند على الأخـلاق .. فكل العـبـادات والمعـامـلات تهـدف إلى جعل المؤمـن متمـتعـا بالأخلاق الفـاضلة .. الصلاة فى الإسلام تنهى عن الفحشاء والمنكر والصيام يغرس في الإيمان الصبر على الحرمان والبعد عن الترف ويربيه على فضل الزهد والتـقـشف وتحـمل الحـرمـان والزكـاة تطهـر النفس وتـزكى القلب:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (١)

فجوهر الإسلام هو الأخلاق .

وكان الرسـول الأعظم عليه الصلاة والسـلام كمـا قـالت عنه عائشة رضى الله عنها : كان خلقه القرآن .

وجهاد النفس والهوى والشيطان، هو الجهاد الأكبر كما قـال عليه الصلاة والسلام عندما جاء من أحد غزواته :

« لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»

وإذا كان الصـوفيـة وهم يعملون وفق مـا جاء بكتـاب الله وسنة رسـوله لهم مـثـلا أعلى، فـمـثلهم الأعلى هو الرسـول عليـه الصـلاة والسلام .

كان الرسول أكثر الناس تقى، وخوفا من الله، وأكثرهم زهدا

(١) سورة التوبة ، آية (١٠٣)

فى الدنيا .. وكان يتصف بالشجاعة والكرم والوفاء، وحب الناس .. وكل ما يتصل بمكارم الأخلاق..

كان من دعائه عليه الصلاة والسلام :

« اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا »

وقالت عائشة رضى الله عنها :

« ما شبع آل محمد عليه الصلاة والسلام من خبز، حتى قبض، وما رفع من مائدته كسرة قط »

وكان عليه الصلاة والسلام مثالا للصبر على أذى المشركين والمنافقين .. عملا بقوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[1]

وكان أمينا عادلا، حتى أطلق عليه مجتمع مكة (الأمين) قبل الإسلام، ولما جاءته الرسالة كان الأمر الإلهى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[2]

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٤٢) .

(٢) سورة النساء ، آية (٥٨)

كان الرسول عليه الصلاة والسلام تجتمع فى سلوكياته كل مكارم الأخلاق..

فكان عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى للمتصوفة.. لأن التصوف السليم هو الذى ينبع من الكتاب والسنة، أما غير ذلك من ألوان التصوف التى تجرى وراء الفلسفات الدخيلة على الإسلام، فهذه الألوان لا تعنينا .

وجميع مقامات الصوفية وأحوالهم التى هى موضوع التصوف أساسا مستندة إلى شواهد القرآن الكريم، كما يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى ..

ويشير إلى آيات القرآن الكريم التى تستند إليها بعض تلك المقامات والأحوال، وذلك على سبيل المثال لا الحصر :

تستند مجاهدة النفس، التى هى بداية الطريق إلى الله إلى آيات مثل قوله تعالى :

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (١)

ومثل قوله تعالى :

﴿ وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ۝ فإنّ الجنة هي المأوى ﴾ (٢)

(١) سورة العنكبوت ، آية (٦٩)

(٢) سورة النازعات ، الآيتان (٤٠، ٤١)

ومثل قوله :

﴿ إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[١]

ومقام مثل مقام التقوى يمكن أن يكون مستندا عندهم إلى قوله تعالى :

﴿ إنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ اللَّه أتْقَاكُمْ ﴾[٢]

ومقام الزهد يستند عندهم إلى آية مثل :

﴿قُلْ مَتاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [٣]

وإلى آية مثل :

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٤]

ومقام التوكل يستند عندهم إلى مثل قوله تعالى :

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [٥]

وقوله تعالى :

﴿وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٦]

---

(١) سورة يوسف ، آية (٥٣)

(٢) سورة الحجرات ، آية (١٣)

(٣) سورة النساء ، آية (٧٧)

(٤) سورة الحشر ، آية (٩)

(٥) سورة الطلاق ، آية (٣)

(٦) سورة التوبة ، آية (٥١)

ومقام الشكر مستمد من آية :

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾[1]

ومقام الصبر مستند إلى آية مثل :

﴿ واصبر وما صبرك إلاّ بالله ﴾ [2]

ومثل :﴿وبشر الصابرين﴾ [3]

أما مقام الرضا فمذكور فى قوله تعالى :

﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[4]

ومقام الحياء يمكن أن يرد إلى قوله تعالى :

﴿ ألم يعلم بأنّ الله يرى ﴾ [5]

وهناك مقامات أخرى مثل الفقر بمعنى : الافتقار إلى الله، وهذا يستند عند الصوفية إلى آية مثل :

﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض﴾ [6]

---

(١) سورة إبراهيم ، آية (٧)

(٢) سورة النحل ، آية (١٢٧)

(٣) سورة البقرة ، آية (١٥٥)

(٤) سورة المائدة ، آية (١١٩)

(٥) سورة العلق ، آية (١٤)

(٦) سورة البقرة ، آية (٢٧٣)

وإلى آية مثل :

﴿والله الغنيُّ وأنتمُ الفُقَراء﴾ [1]

وهناك أيضا مقام المحبة المتبادلة بين العبد والرب، وهو مشار إليه صراحة فى قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا من يرتدَّ منكُمْ عن دينه فسوْف يأتي اللَّهُ بقوْمٍ يُحبُّهم ويُحبُّونه﴾ [2]

وكلام الصوفية فى المعرفة الحاصلة عن التقوى والتخلق والإلهام يرد عندهم إلى آيات مثل: ﴿ واتَّقوا اللَّه ويُعلِّمكُمُ اللَّه ﴾ [3]

وقوله تعالى :

﴿فوجدا عبْدًا منْ عبادنا آتيْناهُ رحْمةً منْ عنــــــــدنا وعلَّمْناهُ من لَدُنَّا علْمًا﴾ [4]

وأما الأحوال فمستندة أيضا إلى القرآن .

فهناك مثلا حال الخوف الذى يستند إلى قوله تعالى :

﴿يدْعُون ربَّهمْ خوْفًا وطمعًا﴾[5]

(١) سورة محمد ، آية (٣٨)

(٢) سورة المائدة ، آية (٥٤)

(٣) سورة البقرة ، آية (٢٨٢)

(٤) سورة الكهف، آية (٦٥)

(٥) سورة السجدة ، آية (١٦)

وحال الرجاء الذى يستند إلى مثل :

﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ [1]

وحال الحزن الذى يستند إلى قوله تعالى :

﴿ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [2]

بل إن بعض رياضات الصوفية العملية، وأهمها الذكر، يمكن أن يجد له مصدرا من القرآن الكريم ، فالذكر يستند إلى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[3]

ومعنى الولاية: (مولاة الله بالطاعات) يستند إلى قوله تعالى :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4]

والدعاء عند الصوفية – وهو رياضة عملية لها أدابها عندهم – يستند إلى شواهد قرآنية كثيرة مثل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [5]

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٥)

(٢) سورة فاطر، آية(٣٤)

٣) سورة الأحزاب ، آية (٤١)

٤) سورة يونس ، آية (٦٢)

٥) سورة غافر ، آية (٦٠)

وقوله تعالى :

﴿أمَّن يُجيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعاه﴾ [١]

★★★

وإذا نظرنا إلى تصوف أبى الحسن الشاذلى، وإلى مدرسته فإنها لا تخرج عن إطار الكتاب والسنة..

فهو صاحب مدرسة

وهذه المدرسة لها تلاميذها

وتلاميذها لا يخرجون عن إطار ما رسمه الشيخ، وما رسمه الشيخ لا يخرج عن إطار الكتاب والسنة .

هو نفسه يعمل فى الزراعة .. يأكل من عمل يده .. حتى لا يسأل الناس .

وهو كثير العبادة .. وله أوراده .. وأحزابه التى يدعو بها ربه.

والشاذلى لأنه صوفى. يتبع منهج الكتاب والسنة لا يجرى وراء فلسفات قد تضل العقل،

إنه يؤسس إيمانا عميقا بربه .. على أساس أن الإيمان فطرة طبع عليها الإنسان.

---

(٢) سورة النمل، آية (٦٢)

والله ليس فى حاجة إلى دليل على وجوده؛ لأن الموجودات تفتقر إليه، فكيف يستدل بالمخلوقات على الخالق ! وهو القائل :

« كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، أم كيف يعرف بشىء من سبق وجوده كل شىء »

وهو القائل :

« وكيف تكون الكائنات مظهرة له، وهو الذى أظهرها، أو معرفة له وهو الذى عرفها »

إيمان عميق .. واضح كل الوضوح .. إيمان لا يحتاج إلى دليل أو برهان، فالله أكبر وأظهر من كل دليل وبرهان .. فهو خالق الكون .. وخالق كل شىء .. فهو ليس فى حاجة إلى برهان للدلالة على وجوده؛ لأن وجوده أظهر من كل شىء ..

وأهل الجاهلية كانوا يؤمنون بالله، ولكنهم انحرفوا بتقديسهم للأصنام الذين كانوايعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى.

﴿ ما نعبدهم إلاَ ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (١)

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (٢)

---

(١) سورة الزمر ، آية (٣)

(٢) سورة لقمان ، آية (٢٥)

وهو يرى أن الأديان السماوية جاءت؛ لتصحح المفاهيم عن الله .. فالله واحد أحد .. فرد صمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.. لا أن تثبت وجود الله .

والآيات الكثيرة التى يظن بعض الناس أنها نزلت؛ لإثبات الوجود، فهى كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود فليست من ذلك فى قليل أو كثير، إنها تبين عظمة الله وجلاله وكبرياءه وهيمنته الكاملة على العالم، ما عظم من أمره وما دق منه،لا تفوت هيمنته صغيرة ولا كبيرة ، ولا يخرج عن سلطانه ما دق وما جل.

وقد أتت هذا الوضع لتقود الإنسان إلى إسلام وجهه لله .. إسلاما كاملا بحيث لا يصدر، ولا يرد إلا باسمه سبحانه، ولا يأتى ما يأتى ويدع ما يدع إلا فى سبيله تعالى .

فالشاذلى لا يجرى وراء إثبات الله عن طريق العقل؛ لأن العقل قاصر، ولا عن وجود الموجودات التى لابد لها من خالق؛ لأن الله وجوده هو الذى أوجد هذه المخلوقات، وهو دليل عليها، وليست هى دليله عليه ..

فوجود الله بديهة لا تحتاج إلى إثبات.

ونحن نعرف الله بالله .

وقد تأثر بهذه الآراء تلاميذ أبى الحسن الشاذلى.

فها هو تلميذه ابن عطاء الله السكندرى يقول:

وأرباب الدليل والبرهان عموم (عامة) أو رعاع عند أهل الشهود والعيان قدسوا الحق فى ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه وكيف يحتاج إلى دليل من نصب الدليل؟!

وكيف يكون معروفا به وهو المعرف له ؟

ولأن ابن عطاء السكندرى قد تأثر بأستاذه أبى العباس المرسى خليفة أبى الحسن الشاذلى، له مناجاة .. بالغة الجمال والعمق .. يظهر فيها مدى تأثره بشيخه .. وعمق إيمانه بخالقه .. بعيدا عن استنتاجات فلاسفة العقل .. إنه يقول :

إلهى : كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك ؟

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟!

متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟!

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى أظهر كل شىء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء، وهو الذى ظهر بكل شىء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الظاهر قبل وجود أى شىء؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شىء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء، وهو الواحد الذى ليس معه شىء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء، وهو أقرب إليك من كل شىء؟!

كيف يتصور أن يحجبه شىء، ولولاه ما كان وجود شىء؟ !



مثل هذا التصوف يذكرنا بالزاهدين من الصحابة أمثال: بلال، وعبد الله بن عمر، وسلمان الفارسى وغيرهم من الذين زهدوا فى الحياة ابتغاء ما عند الله وكان هؤلاء الصحابة قد شاهدوا الرسول عليه الصلاة والسلام فى تعبده وتهجده، وكثرة صلاته وصيامه، رغم أعباء الرسالة، وما تتطلبه من دعوة الناس إلى الإسلام، وتعريفهم به، وحثهم على الإقدام على ما أحله، والابتعاد عما حرمه، ورغم أن المنافقين والكافرين لم يتركوه يؤدى مهمته كما يريد، بل وضعوا أمامه العراقيل، وحاربوه، واضطهدوا أتباعه .. ومع كل هذا الجهاد ظل أعظم رسل السماء يجد فى العبادة قربا من الله، حتى بعد أن هاجر، واضطر إلى مجابهة الأعداء بالقوة، وفرض الجهاد، وبدأت غزواته ومعاركه عليه الصلاة والسلام .. ومع كل ذلك، فقد كان أحب الأمور إليه هى تلك اللحظات التى يناجى فيها ربه، ولقى ربه وليس فى بيته مال، فقد أصر أن توزع الدراهم القليلة- التى كان يملكها- على فقراء المسلمين، وقابل ربه وهو لا يملك درهما ولا دينارا.

كانت عبادته وزهده وتقواه عليه الصلاة والسلام دافعا للبعض أن يحتذوا حذوه.

وجاء التابعون من بعد الصحابة، وكانت الفتوحات الإسلامية شقت طريقها فى آسيا وأفريقيا .. وتدفقت الأموال والخبرات على المسلمين .. ولم يعد هناك شظف فى العيش كما كان فى عهد الصحابة، وأخذ البعض - وقد عرف معنى الثراء - أن يعيش حياته.. وأن يتمتع بما لذ وطاب من الطعام، بل عرفوا الغناء والطرب، وخاصة فى مكة والمدينة فى العصر الأموى .. وكان هناك رد فعل على هذا الترف؛ فبدأ البعض يتجه إلى الزهد، هذا الزهد.. الذى تحول إلى حب لله .. ودعوة إلى الحب الإلهى الذى يرفع الإنسان إلى سمو روحى، لا يستشعره إلا من يعيشه.

فرأينا الزهد متمثلا فى الحسن البصرى فى البصرة.
ورأينا الحب متمثلا فى رابعة العدوية .

ولم تطلق كلمة الصوفية على هؤلاء الذين يتجهون صوب العبادة إلا فى القرن الثانى الهجرى.. حيث كان الحسن البصرى على رأس متصوفة البصرة . وإبراهيم بن أدهم على رأس مريدى باتح، ورابعة العدوية التى اتجهت إلى حب الله .

وفى القرن الثالث الهجرى ظهر المحاسبى، وذو النون المصرى.. اللذين أخذا يتحدثان عن التصوف، والصفاء الروحى، والمشاهد والمقامات والأحوال لأهل الله .

كما رأينا من يتحدثون عن الفناء وهى مرتبة عليا يصل إليها المريد الذى يصل إلى مرتبة اليقين والإلهام .. تحدث بذلك أبو يزيد البسطامى .

وفى القرن الثالث الهجرى .. تأثر هؤلاء الصوفية ببعض المذاهب والنظريات الفلسفية .. كما نرى عند الجنيد والحلاج .. وظهر فى التصوف بعض الأمور الغريبة عندما سمعنا عن الحلول والاتحاد .. ثم ظهر ألوان من التصوف الأقرب إلى الفلسفة، كما هو معروف عند السهروردى المقتول، ومحيى الدين بن عربى الأندلسى، وابن سبعين الصقلى، من رجال القرنين السادس والسابع .

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء المتصوفة المتفلسفين - إن صلح هذا التعبير- بل امتد إلى شعراء مثل : جلال الدين الرومى، وفريد الدين العطار.

وكل هؤلاء لهم نظريات فى الوجود، ورؤية الأمورتقترب من النظريات الفلسفية.. وظهرت الشطحات الصوفية، والأمور والآراء الغريبة التى قد تغرق من لا يتعمقها فى متاهات ومزالق فكرية .. كما نرى فى نظرية وحدة الوجود .. بما عليها من اعتراضات أهل السنة .

والذى يريد أن يبتعد عن متاهات المتفلسفين من الصوفية يبعد نفسه بالفعل عن متاهات ومزالق .. والإسلام أبسط بكثير من هذه الأفكار عن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، والفناء وغير ذلك من الأفكار التى التصقت ببعض الفلاسفة .

ومن هنا فقد وجد الناس فى فلسفة الإمام الغزالى ملاذا لهم .. فليس فى فلسفته تطرف ولا ابتداع، ولكن كان ينهج نهج الكتاب والسنة .

وكان من رأى الإمام الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) أن هناك عالمين

- عالم الظاهر .
- عالم الباطن .

عالم الظاهر .. وسيلته الحواس

وعالم الباطن .. وسيلته اليقين والإلهام.

وهذا اليقين لا يتم عن طريق اتحاد أو حلول إنما هو يقين يتم عن طريق الكشف سواء فى اليقظة أو فى المنام .. لهؤلاء الذين اتبعوا طريق الله، وفقا لما جاء فى الكتاب الكريم، والسنة النبوية المطهرة .. وأن العابد لله قد يصل بعبادته، ومن خلال ما يفيضه الله عليه من علم لدنى، ما يتقوى به الإنسان من خلال العلم المكتسب .

ولأن فكر الغزالى كان فكرا معتدلا .. لا تطرف فيه، ولا خروج عن الكتاب والسنة، فقد كان كتاب الإحياء من أهم الكتب التى عنى بها أبو الحسن الشاذلى .. فقد كان يقرأ فى الإحياء ويشرحه لتلاميذه، ويحضهم على العمل بما جاء به.

ومراحل التصوف عند الغزالى كما يلخصها الدكتور مصطفى غلوش .. أن الغزالى اعتبر السالك لمنهج التصوف مندرجا فى ثلاث منازل .

١- المنزلة الأولى للتصوف هى: تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى .

ويعنى الغزالى بهذه المرحلة: أن يجرد الراغب فى نهج التصوف نفسهم من علائق المادة وشهوات المال، والأهل، والولد.. إلخ.

وينفرد تماما لمهمته الجديدة، فإن نجح فى ذلك ؛ يكون قد وضع أقدامه على بداية الطريق الموصل إلى مبتغاه .. وهذه مرحلة (التخلى)

٢- المنزلة الثانية للتصوف هى : استغراق القلب بالكلية بذكر الله تعالى .

ويعنى الغزالى بهذه الخطوة : أن لا يفتر القلب عن ذكر الله تعالى وتذكره .. وألا يرد على القلب أى شىء سوى ذكر الله تعالى وتذكره .فلا يذكر هذا القلب جاها ولا سلطانًا ولا شهوة، ويعتبر (الغزالى) هذه (المنزلة) فى غاية الأهمية لسالك طريق التصوف. حتى أنه اعتبرها بمثابة مفتاحها الجارى مجرى التحريم من الصلاة (وهذه مرحلة التحلّى).

٣- المنزلة الثالثة للتصوف : هى الفناء بالكلية فى الله تعالى، ويعني الغزالى بالفناء فى الله: أن تموت الشهوات حقيقة فلا يحس بها (السالك) حقيقة .. وإنما فقط يشعر بلذة قربه من محبوبه فيحدث (بقاء) مع (فناء) على معنى أن تفنى الشهوة ويبقى (حب الله تعالى).

- أما معنى (الفناء) الذى يفضى إلى التشبيه أو مشابهة الله تعالى للحوادث كما قيل عنه يعصمه (فى) التى تعنى الظرفية .. فهذا كلام ليس من الإسلام . وهو فى جملته يشوه المعنى الجميل .. للتصوف الإسلامى الحقيقى الذى هو فى الحقيقة (الإحسان) الذى جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه مرحلة التجلى .

★★★

ولأن أبا الحسن الشاذلى كان شديد الاعتداد بكتب الإمام الغزالى، وبالذات (الإحياء)، فقد كان أبو الحسن يقول لمريديه:

« إذا عرضت لكم إلى الله خاصة فتوسلوا إليها بالإمام أبى حامد ».

ورغم أن أبا الحسن ، كانت من مكونات ثقافته التى بينها لتلاميذه بجانب كتاب الإمام الغزالى ، كتاب (المواقف والمخاطبات) لمحمد بن عبد الجبار النفّرى. وكتاب قوت القلوب لأبى طالب المكى، وكتاب الشفاء للقاضى عياض، إلا أنه لم يؤلف كتبا، بل كان يردد:

- كتبى أصحابى .

فالطريق عند الشاذلى. لا يحيد عن الكتاب والسنة ومن أقواله :

« إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس فى الجماعة، فلا تعبأ به ».

وكانت نصيحته لتلاميذه

« كل علم تسبق إليك فيه الخواطر، وتميل إليه النفس، وتلتذ به الطبيعة، فارم به وإن كان حقا .

وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسوله، واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى، ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام، والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه).

★★★

كان الشاذلى مدرسة للتصوف المعتدل.

وأعنى بالتصوف المعتدل: التصوف الذى لا يخرج عن الكتاب والسنة، والتخلق بأخلاق الإسلام والتصوف أولا وأخيرا أخلاق .

وأخلاقيات الإسلام تكمن فى الأمانة، وحفظ حقوق الآخرين، والزهد فى الدنيا حتى لو كنت تملك مالا كثيرا، فإن

ملكت المال .. فهذا يعنى: أنك مجرد حامل له .. ائتمنك الله عليه، فأنت تملكه ولا يملكك .. إنه فى يدك وليس فى قلبك .

وأخلاقيات الإسلام تعنى: حب الآخرين والتراحم معهم.

ومن يحاول أن يتأس فليتأس بالرسول الكريم فى شجاعته وإيمانه وتعبده، وكرمه وحيائه، وشمائله وكل الأخلاقيات التى تجمعت فى شخصيته عليه الصلاة والسلام.. كان أبو الحسن الشاذلى يعتنى بملبسه - كما قلنا - وبمظهره، وكان يرد على من يعيب عليه ذلك: بأن لبسه يوحى للآخرين بأنه ليس فى حاجة إلى أحد إلا الله، بينما اللباس الذى لا يليق يوحى لآخرين بأنه فى حاجة إليهم .

كان أبو الحسن بسيطا .

وكان عميقا لفهم للإسلام ..

حتى إننا نراه، وهو يحبب أتباعه فى الطريق، وأن هذا الطريق يجعلهم من أهل الله .. فيشعرون بسعادة غامرة فى هذه المعية مع الله .. كان يقول لهم :

« أما أهل الله وخاصته فهم قوم جذبهم عن الشر وأصوله ، واستعملهم فى الخير وفروعه، وحبب إليهم الخلوات، وفتح لهم السبيل المناجاة، فتعرف إليهم فعرفوه، وتحبب إليهم فأحبوه،

وهداهم السبيل إليه فسلكوه، فهم به وله، لا يدعهم لغيره، ولا يحجبون عنه، لا هم محجوبون به عن غيره .

لا يعرفون سواه .

ولا يحبون إلا إياه .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١)

التصوف عنده كما يقول :

« تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية »

ويتفق طريق الشاذلية كغيره من الطرق الصوفية وأرباب التصوف بصفة عامة بأهمية أن يبدأ السالك لطريق الله بالتوبة، وعقد العزم على أن يسير على نهج الإسلام وقيمه، فيتبع حلاله، ويبتعد عن حرامه، يقصد الترقى فى الأحوال والمقامات .. ومن وسائل الوصول للخلوة .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود عن الخلوة :

« وأخيرا فى هذا الطريق القصد إلى الله، وتدعيما للتوبة، وتثبيتا للإخلاص، يحسن أن يخلو الإنسان وربه فترة من الزمن هى فترة العزلة ، أو فترة الخلوة، أو فترة الكهف، أو فترة الغار ؛ يلازم فيها : (الذكر والمراقبة والتوبة والاستغفار) ويقول :

---

(١) سورة الزمر ، آية (١٨)

ومهما خالط سره شىء، من ذنب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل ؛ فيجب عليه المبادرة إلى التوبة والاستغفار من الجميع : أما من الذنب فواجب شرعا، وأما من غيره فاعتبارا باستغفار النبى صلى الله عليه وسلم تسليما بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا من معصوم لم يقترف ذنبا قط، فما ظنك بمن لا يخلو من ذنب أو عيب فى وقت من الأوقات.

أما ثمرة العزلة فهى الظفر بمواهب المنة وهى أربعة :

كشف الغطاء .

ومنزل الرحمة وتحقق المحبة .

ولسان الصدق فى الكلمة، قال الله تعالى :

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾(١)

ومن تعاليم أبى الحسن لمريديه وهو يرسم لهم الطريق الذى يرتفع بهم فوق مغريات الحياة، وما فيها من شهوات وملذات، هو الحب لله وفى الله .. فهو القائل

- من أحب الله، وأحب لله؛ فقد تمت ولايته لله .

★★★

---

(١) سورة مريم ، الآيتان (٤٩، ٥٠)

ومن أجمل معارجه ومرائيه ما ذكره الدكتور عبد الحليم محمود عنه منها :

● رأيت كأننى مع النبيين والصديقين فأردت الكون معهم ثم قلت:

اللهم أسلك بى سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فإنهم أقوى ونحن أضعف منهم .

فقيل لى : وما قدرت من شىء فأيدنا كما أيدتهم .

رأيت كأنى فى المحل الأعلى فقلت :

إلهى أى الأحوال أحب إليك، وأى الأقوال أصدق لديك، وأى الأعمال أدل على محبتك؟ فوفقنى واهدنى

فقيل لى :.

أحب الأحوال إليه الرضا بالمشاهدة، وأصدق الأقوال لديه قول : لا إله إلا الله، وأدل الأعمال على محبته بغض الدنيا والناس من أهلها على الموافقة

● رأيت كأنى واقف بين يدى ربى فقال :

« لا تأمن مكرى فى شىء وإن أمنتك، فإن علمى لا يحيط به محيط »

★★★

وهذه المناجاة تدلنا على أن أبا الحسن الشاذلى اغترف من بحر الأولياء والمحبين .. وشاهد ما شاهد عندما صفت روحه .. وهام بالحب الإلهى .. فعاش الأنوار التى لا يستطيع أن يصفها إنسان، ولا يستطيع أن يدركها إلا من عايشها .

أو على حد تعبيرى القشيرى :

« اعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بشرعه .

والحقيقة شريعة من حيث إن المعرفة بالله سبحانه وجبت بأمره.

والشريعة أقوال والطريقة أفعال . والحقيقة أحوال والمعرفة رأس المال، وكل ذلك موروث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان التطهير للجسم بالتراب والماء فالتطهير فى الطريقة بتخلية النفس عن الهوى، والتطهير فى الحقيقة بخلو القلب عما سوى الله »

والإمام الغزالى يقول عن الطريق الصوفى بعد أن تعمق علوم عصره وفلسفاته، ورأى أخير الطرق هو طريق الصوفية .. قال فى(المنقذ من الضلال)

ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتى على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس ، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب من غير الله تعالى

وتجليته بذكر الله .. وكان العلم أيسر عليّ من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل : قوت القلوب (لأبى طالب المكى) رحمه الله ، وكتب (الحارث المحاسبى)، والمتفرقات المأثورة عن (الجنيد) . والطبيب فى حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها حالة أنه فاقد للصحة. وكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه وبين أن يكون حالك الزهد بالفعل فى عزوف النفس عن الدنيا .

فعلمت يقينا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك .

وقد حصل عندى من العلوم التى مارستها والمسالك التى سلكتها من صنوف العلوم الشرعية والفعلية إيمان يقينى بالله تعالى وبالنبوة واليوم الآخر. فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت فى نفسى لا بدليل معين محرر بل بأسباب وقرائن .

وكان ظهر عندى أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكانت التقوى بالبعد عن الهوى وإن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب (لا الجسم) بالدنيا، وذلك يتم بالتجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والاتكال بكنه الهمة على الله تعالى، وإن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشواغل والعلائق »

★★★

عالم الصوفية عالم شفافية وروحانية، واكتشاف للحقيقة كما يسرها لهم الله تعالى .

عالم لا يشعر به إلا من كابده .. ولا يحس به إلا من عاشه، ولا يعرف عمق مياهه إلا من تعلم السباحة وعرف كيف يسبح فى عالم من الصفاء والأنوار

من هنا نرى أبا الحسن الشاذلى يقول فى تجلياته :

خطر ببالى يوما أنى لست بشىء، ولا عندى من المقامات والأحوال شىء، فغمست فى بيت مسك، فكنت فيه غريقا، فلدوام غرقتى فيه لم أجد تلك الرائحة فقيل لى : علامة المزيد فقدان المزيد لعظيم المزيد

* * *

الطريقة الشاذلية

(٣)

الطريقة الشاذلية كما نادى بها أبو الحسن الشاذلى طريقة بسيطة .. ليس فيها غلو ..

إنها ترى أن على المتبع لها أن يسير على نهج الكتاب والسنة.. فيؤدى الفرائض .. ويتخلق بالأخلاق الكريمة التى كان يتخلق بها الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهى ككل طريقة تعتمد على الأذكار، كما جاء فى القرآن الكريم

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (١)

والشاذلى يقول عن الأذكار :

« الأذكار أربعة .. ذكر تذكره وهو الذى تطرد به الغفلة أو ما تخافه من الغفلة، وذكر تذكر به، أى: خوف العذاب أو البعد، وحب النعيم أو القرب، وذكر يذكرك أن الحسنات من الله والسيئات من نفسك . وإ ن كان الله هو الفاعل المختار، وذكر تذكر به . يقول الله تعالى : ﴿فاذكُروني أذكُركُم﴾

(١) سورة البقرة، آية (١٥٢)

فيذكر الله عبده به وليس للعبد فيه متعلق، وأن يجرى لسانه وهو موضع الفناء بالذكر، والمذكور العلى الأعلى، فإذا دخلت فيه صار الذكر مذكورا والمذكور ذاكرا» وأن على المرء أن يراقب نفسه بذكر (لا إله إلا الله)

ويورد لنا الدكتور عامر النجار أسس الطريقة الشاذلية من خلال مطالعاته لما كتب عنها بقوله :

ومن أسس الطريقة الشاذلية : ترك التدبير والاختيار، فأبو الحسن الشاذلى هنا يدعو -سالك طريقه- حتى يحصل على المحبة فى الله : أن يترك تدبيره إلى تدبير الله، واختياره إلى اختياره سبحانه وتعالى ، فهو مدبر الأشياء، وكل شىء بمشيئة يقول الشاذلى :

« المحبة فى الله برفض الشهوات والمشيئات، ولن يصل العبد إلى الله وقد بقى معه شهوة من شهواته أو مشيئة من مشيئاته »

وقال أيضا :

من انقطع عن تدبيره إلى تدبير الله، ومن اختياره إلى اختيار الله، وعن نظره إلى نظر الله، وعن مصالحه إلى علم الله بملازمة التسليم والرضا والتفويض والتوكل على الله؛ فقد أتاه الله حسن الثواب »

ويتابع الشاذلى آراءه فى ذلك فيقول :

« لا تختر من أمرك شيئا، واختر ألا تختار، وفر من المختار ومن قرارك، ومن كل شىء إلى الله :

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾ (١)

وعن أسباب حجب الخلق عن الله تعالى يقول الشاذلى:

« أكثر ما حجب الخلق عن الله شيئان: هم الرزق ، وخوف الخلق . وهم الرزق أشد الحجابين، وذلك لأن أكثر الناس يخلون من خوف الخلق، ولكنهم لا يخلو أحد منهم من هَمّ االرزق إلا القليل ، لا سيما وشاهد الفاقة قائم بوجود ذلك، فأنت مفتقر إلى ما يقيم بنيتك ويشد قوتك»

وقارئ تعاليم أبى الحسن الشاذلى لتلاميذه ومريديه، يعرف أن الشيخ لم يكن جبريا، بمعنى: أن الإنسان مجبر على أفعاله ، ولا خيار له فى تصرفاته وأعماله، ولكن الشيخ كان يدعو تلاميذه ومريديه إلى العمل، وأن العمل من أهم الفضائل التى يجب أن يتمتع بها المسلم، ولكن لأننا لا نعرف قضاء الله، فعلينا أن نعمل بالأسباب، وفى نفس الوقت يكون اتكالنا على الله .. فهو يدعو إلى التوكل على الله لا التواكل .

ومن ذلك على المريد أن يواصل الذكر ويحافظ على تلاوة الأحزاب

---

(١) سورة القصص ، آية (٦٨)

وقد أخذ البعض على الإمام أبى الحسن الشاذلى بعض المآخذ فيما أورده في أحزابه من خلال منطق صارم كمدرسة ابن تيمية*. ونسوا أن أبا الحسن فى دعواته هذه إلى الله يكون بكل كيانه مندمجا فى الذكر، ويطفو على لسانه؛ ما اعتمل من أنوار فى صدره، فجاءت هذه الكلمات معبرة عن الوجد والشوق والحب لله وفى الله .. والأدب الصوفى عموما يتسم بالغموض، لأنه يعبر عن المواجد، وهذا الغموض يصعب أن تتعرف على قسماته بدليل أن مفسريه يختلفون فى تأويل هذه المعانى والرجل لم يغرق فى شطحات الصوفية كما فعل فلاسفة المتصوفين .

فلا نادى بحلول ولا اتحاد

ولا ادعى الفناء

ولا تجد فى تعاليمه أثرا لوحدة الوجود .

لقد كان حريصا أن يكون معبرا عن كتاب الله وسنة الرسول

والعزلة والنسك والصمت والزهد، والميل إلى الفقراء قيم سلوكية تمثل لب فلسفة المتصوفين كما يقول الدكتور صابر عبد الدايم فى كتابه (الأدب الصوفى : اتجاهاته وخصائصه) ويقول : وقد تختلف هذه القيم فى سلوك النبى وفى سلوك أصحابه الأجلاء .

فسيدنا محمد عليه السلام قبل البعثة كان يخلو بنفسه فى

غار حراء يتأمل الحقائق الكونية ، ويحاول أن يجد منفذا لأفكاره السامية . وكانت هذه العزلة تفرض عليه الصمت . وتوجت هذه العزلة التعبدية والمجاهدة النفسية بنزول الوحى وتبليغه الرسالة للنبى عليه الصلاة والسلام . ومن هنا انتهت حياة العزلة وبدأت حياة الكفاح والمجاهدة الحقيقية .

وكمثل زهد الرسول عليه الصلاة والسلام . فى إصراره على دعوته ورفضه كل المغريات التى حاول الأعداء أن يصدوه عن دعوته بعرضها عليه فصدهم فى قوة لا تعرف المهادنة، وعزة لا تعرف المراوغة.

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى فإذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه، وإن تقترب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة »

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده، عن النبى أنه قال :

« إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتمجيد يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟! »

وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال :

يا محمد، أقرئ أمتك السلام وأخبرهم: أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» .

وقد روى أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهم فى دعاء الخروج إلى المسجد قوله :

« اللهم اجعلنى نورًا »

فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور فى ذراته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطا به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته وجملته نورا، وداره التى أعدها لأوليائه نور يتلألأ، وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض ومن أسمائه النور، وأشرقت الظلمات لنور وجهه.

وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

« أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو ينزل بى سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »

★★★

ففى عبادة الرسول وزهده وتقشفه، والخلفاء الراشدين من

بعده، كانت أسوة للصوفية، فى أن يسيروا على منوالهم، وينحون نحوهم، والعمل بمثل ما كانوا يعملون، حتى يصلوا إلى رضوان الله.

أليس الرسول الكريم هو القائل :

إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل.

قال رجل : فمن هم يا رسول الله ؟ وما أعمالهم ؟ لعلنا نحبهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوم يتحابون بروح الله عز وجل من غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها بينهم. والله إن وجوهم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، قالوا ثم قرأ :

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]

ويورد الدكتور صابر عبد الدايم وهو يستعرض اللمحات التاريخية التى يستقى منها الصوفية طريقهم .

وفى سلوك الخلفاء الراشدين ما يعده المتصوفون هاديا لهم وأنموذجًا أمامهم، وفى مقدمتهم الخليفة الثانى

---

(١) سورة يونس ، آية (٦٢)

(عمـر بن الخطاب) حيث اتخذوه أسوة يتعلقون به لمعان وأمور اختص بها وهى :

١- لبس المرقعة.

٢- إظهار الكرامات.

٣- الخشونة وترك الشهوات واجتناب الشبهات.

٤- قلة المبالاة من لائمة الخلق عند انتصاب الحق ومحق الباطل .

٥- مساواة الأقارب والأباعد فى الحقوق .

٦- التمسك بالأشد من الطاعات .

وروى عن عثمان بن عفان أنه قال :

وجدت الخير كله مجموعا فى أربعة :

١- التحبب إلى الله بالنوافل .

٢-الصبر على أحكام الله .

٣- الرضا بتقدير الله . ٤- الحياء من نظر الله .

ويروى عن على بن أبى طالب قوله :

الخير كله مجموع فى أربعة : الصمت والنطق والنظر والحركة .

فكل نطق لا يكون فى ذكر الله فهو لغو.

وكل صمت لا يكون فى ذكر الله فهو سهو.

وكل نظر لا يكون فى عبرة فهو غفلة .

وكل حركة لا تكون فى تعبد الله فهى فترة.

« فرحم الله عبدا جعل نطقه ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرا، وحركته تعبدا، وسلم الناس من لسانه ويده »

★★★

هذه الصور التى جسدتها سيرة الرسول، وصحابه رسول الله، وخلفائه، أليست هى المضمون الذى نراه فى صوفية أبى الحسن . فى تعبده واعتزاله الناس فى تونس، ثم مصاحبته لهم وإرشادهم إلى ما ينبغى أن يكون عليه إسلام الوجه لله، ثم فى رحلاته إلى العراق ومصر .. حيث أصبحت دروسه وتلاميذه علامات واضحة للمدرسة الشاذلية التى تركز على أهمية العبادة، وأهمية العلم، وأهمية العمل ، والاتكال على الله سبحانه وتعالى .

فالشاذلى هو القائل:- كما أورد ذلك فى لطائف المنن ابن عطاء الله السكندرى- .

« اعرف الله وكن كيف » شئت. فالمسألة عنده ليست مظاهر ولا شكليات، ولا لبس المرقع من الملابس، فقد كان هو نفسه يلبس

أجمل الثياب، ويركب الخيول، ويعمل فى زراعته .. كأى إنسان ومع ذلك فهو متصوف .. بمعنى:'أنه كان شديد الإيمان شديد الورع، حريص علي العبادة .. وحريص على تلاوة الأوراد والأحزاب .. إن ما يملكه للآخرين، فهو يملك المال ولا يملكه كما يقولون على السادة الصوفية من أصحاب الثراء.

إنهم يعملون كما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يقول الله تبارك وتعالى :

« أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه .. إذا ذكرنى فإذا ذكرنى فى نفسه ؛ ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة »

★★★

وإذا كان التصوف قد بدأ زهدا على يد بعض الصحابة من أمثال : أبي ذر الغفارى، وأبى هريرة، ثم أصبح سمة لبعض التابعين مثل الحسن البصرى الذى كان شديد الحزن والبكاء؛ خوفا من الله حتى قالوا عنه : كأن النار لم تخلق إلا له .. ! إلا أن الزهد بعد القرن الأول الهجرى انتقل إلى مرحلة الحب الإلهى على يد رابعة العدوية التى ترى أن حب الله - جل علاه- هو أهم الغايات

وأرفعها، فهى لاتعبده، خوفا من عذابه، ولا طمعا فى الجنة، ولكنها تعبده حبا وتقربا لذاته العلية

أحـــبك حـــبين حب الهـــوى   وحـب لأنـــــك أهل لذاكـــــا
فـــأمـــا الذى هو حب الهـــوى   فـشغلى بذكرك عـمن سـواكـــا
وأمـــــــا الـذى أنت أهـــل لـه   فكشفك لى الحجب حتى أراكا

وقد ظهـر هذا الحب أيضا فيما بعد فى أشعار ابن عربى وابن الفـارض، وإن كـان يأخذ رموزا فلسـفـيـة غـامضـة فى بعض الأحيان.

والحب الإلهى سمة من سمات الطرق الصوفية جميعا وكان أبو الحسن الشاذلى يتضرع إلى ربه فى دعائه مما ينم عن الحب العميق للذات الإلهية.

فهو من دعائه :

يا الله،

يا فتاح يا عليم،

يا غنى يا كريم ،

افـتح قلبى بنورك، وارحـمنى بطاعـتك، واحـجـبنى عن معـصـيـتك، وامنن علىَّ بمعـرفـتك، واغننى بقـدرتك عن قـدرتى،

وبعلمك عن علمى، وبإرادتك عن إرادتى، وبحياتك عن حياتى، وبصافتك عن صفاتى، وبوجودك عن وجودى، وبدنوك عن دنوى، وبقربك عن قربى، وبحبك عن حبى، وبصدقك عن صدقى، وبحفظك عن حفظى، وبنظرك عن نظرى، وبتدبيرك عن تدبيرى، وباختيارك عن اختيارى، وبحولك وقوتك عن حولى وقوتى، وبجودك وكرمك وفضلك ورحمتك، عن علمى وعملى إنك على كل شىء قدير »

وطريقة الإمام أبى الحسن الشاذلى من الطرق التى تنأى بنفسها عن البدع والخرافات..

إذن لم يكن غريبا أن يحضر مجلسه بعض كبار علماء عصره من أمثال: العز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد وغيرهم من رجالات مصر المشهود لهم فى مجال العلم فى عصره.

وكان أبو الحسن الشاذلى يقول : خصلتان تسهلان الطريق إلى الله: المعرفة، والحب فالطريقة الشاذلية بهذا المعنى تعنى: أن منبعها لابد أن يسلك طريقهم عن طريق المعرفة، والمعرفة تأتى بالاجتهاد فى معرفة الشريعة، وما يجب أن يعلم أى مسلم فى أمور دينه .. حلاله، وحرامه.

كما أن (الحب) وهو هدف كل الصوفية فى كل العصور، على أساس أن الحب الإلهى هو المتبقى من كل عبادة، فإذا أحببت

الله .. عملت بأوامره، وابتعدت عن نواهيه .. وشعرت بمذاق الإيمان وجمال اليقين.

يقول أبو الحسن الشاذلى :

« إننا ننظر إلى الله ببصر الإيمان والإتقان، فأغنانا عن الدليل والبرهان.

فبالحب تهبط المعرفة فى القلب بلا دليل ولا برهان، وإنا لا نرى أحدا من الخلق، هل فى الوجود سوى الملك الحق، وإن كان ولابد فكالهباء فى الهواء إذا تحققناه لم نجده شيئا »

فها نحن نرى أن أبا الحسن الشاذلى يرى أنه بحب الله، تتضح قسمات الحقيقة، ويصل الإنسان عن طريق هذا الحب إلى المعرفة اللدنية، ويستشعر جلال الله سبحانه وتعالى، وما عداه من المخلوقات فكالهباء فى الهواء إذا تحققناه لم نجده شيئا .

ويورد الدكتور عامر النجار هذا النص من (الحقيقة العلية للسيوطى) والتي توضح أن الإمام الشاذلى لم يبح السماع

قال الشاذلى رحمه الله :

رأيت فى النوم كأن بين يدى كتاب الفقيه ابن عبد السلام، وأوراقا فيها شعر من جزء . وإذا بأستاذى رحمه الله واقف .. فتناول كتاب الفقيه بيمينه والأوراق بشماله .

فقال لى كالمستهزئ :

أتعدلون عن العلوم الذكية ؟

وأشار بيده إلى كتاب الفقيه إلى أشعار ذوى الأهواء الرديئة، وأشار بيده إلى أوراق الشعر ثم رماها فى الأرض وقال لى :

« من أكثر من ذلك فهو عبد مرقوق لهواه، وأسير لشهواته ومناه، يسترقون بها القلوب بالغفلة والنسيان، ولا إرادة لهم فى عمل الخير واكتساب العرفان، يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود، ولم يحظ أحد منهم بما حظى أهل الشهود، لئن لم ينته الظالم، ليقلبن الله أرضه سماء وسماءه أرضا »

ويورد ما قاله الحافظ جلال الدين السيوطى :

وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه ليس فى طريقه السماع.

★★★

هذه لمحة سريعة

أو مجرد إشارة إصبع .. عن هذه الطريقة الشاذلية التى لها عشرات آلاف من التابعين فى مصر، ومختلف أنحاء العالم .. والذى كان لصاحبها من الأوراد والأحزاب، ما يتمسك بها تلاميذه فى كل العصور.. فإذا الأحزاب عاشت فى ضمير الأجيال.. ولأنه لم يؤلف كتبا في حياته، فإنه كان يردد :

" كتبى هم أصحابى".

وهذه الأوراد أو الأحزاب ما هى إلا الأدعية الأثيرة عنده، والتى فيها مفاتيح معرفته بخالقه العظيم إنها الأوراد التى يتضح فيها من خلال مناجاته لربه وأدعيته له، الفيوضات التى فاضت عليه من خلال عبادته وتقواه .. التى أهلته إلى الصعود إلى عوالم روحية شفافة .. يصفها أبو الحسن الشاذلى بقوله :

« أما أهل الله وخاصته، فهم قوم قد جذبهم عن الشر وأصوله، واستعملهم بالخير وفروعه، وحبب إليهم الخلوات، وفتح لهم سبيل المناجاة، فتعرف إليهم فعرفوه، وتحبب إليهم فأحبوه، وهداهم السبيل إليه فسلكوه . فهم به وله .. لا يدعهم لغيره، ولا يحجبون عنه، بل هم محجوبون به عن غيره، لا يعرفون سواه، ولا يحبون إلا إياه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب »

وإذا كان الإمام أبو الحسن االشاذلى يريد أن يرتفع بتلاميذه إلى هذا المستوى الرفيع الذى يصل أهل الله .. وجوهر القضية عند أهل الله كما يعبر عنها الأستاذ خالد محمد خالد :

« ونعود إلى جوهر القضية؛ لنرى أهل الله وهم يدركون أعمق إدراك جوهر العلاقة بين الله وعباده »

إن أبوابه مفتحة لنا جميعا طائعين وعصاه - أبرار وخطائين .. إنه بالليل وبالنهار ينادينا :

« هل من مستغفر، فأغفر له، هل من مسترزق ، فأرزقه »

وهو يريدنا بكل ما فينا من طين ونور .. ! فلا بأس أبدا من فضله، ولا خوف قط من غياب جوده وعطائه وبره إذا ناديناه، لبَّانا و(لو أطعناه، ما عصانا)

وعلينا إذن أن نريده بمقدار قطرة من بحار إرادته لنا، وحرصه علينا، وحبه إيَّانا.

تلك هى المشكلة، ولا مشكلة سواها .. أن نريده نحن، ونهفوا إليه، ونرتمى بين يديه .. أما الذى بعد هذا فهو مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فأولئك الذين (يريدون وجهه) لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

ولكن كيف نريد ؟

هنا نلتقى بالشيخ (الواسطى) يقول :

أول مقام ينزله المريد، هو إرادة الحق بإسقاط إرادته.

ويقدم (أبو يزيد البسطامى) نفس الحقيقة بأسلوب أوضح فيقول :

« إذا قلت: يا رب، أين الطريق إليك؟ جاءك النداء: خلِّ نفسك وتعال »

فأهل الله هكذا يفكرون .. حين تريد وجه الله، فمعنى ذلك أن حظوظ نفسك وهواك لا ينبغى أن يبقى لها صدارة فى حياتك، بل ولا فى خلفيتها وجود .

إنك تحتاج إلى (البطارية) وتعتمد عليها فى الظلام الحالك. أمافى رائعة النهار، ومهرجان الشمس فإنك لا تفقد الحاجة إليها فحسب - بل إنك تنساها وتنسى وجودها .

كذلك فأنت تشعر بذاتيتك، وبنفسك، عندما لا يكون معكما ثالث.

أما فى حضرة ثالث ورابع وخامس، فإن شعورك العاكف على ذاتك يتوزع بعدد الجالسين معك، وبمقدار أهمية كل منهم

ويضيف الأستاذ خالد محمد خالد :

وأنت فى حضرة إنسان عظيم تشعر بالارتباك والخجل، حتى تكاد تفقد تماسكك، كما إنك فى حضرته تتنازل عن الكثير من خصائصك وعاداتك ..

أفتريد أن تنزل من حضرة الله رب العالمين دون أن يطرأ عليك جديد يتناسب مع ضآلة العبد وكبرياء الرب ؟؟

إن أهون صور هذا الجديد، هو تخليك عن نفسك « خلّ نفسك، وتعالَ »

إن دغدغة هواك .. ونبذه بعيدا، وذلك يعنى :

« إرادة الحق بإسقاط إرادتك »

★★★

وما أجمل كلمة أبى الحسن الشاذلى .. وهى جماع رؤاه الصوفية :

« من أحب الله .. وأحب لله .. فقد تمت ولايته بالحب »

فما دمت قد أحببت الله .. فإنك سوف تعمل على مرضاته.. وعلى طاعته .. وعلى العمل بما جاء فى كتابه وسنة رسوله .. وسوف تستحى أن تقترف ما يبعدك عن المحبوب » .

إن الحب هو البوابة الذهبية إلى عالم الله .. عالم الروحانية والشفافية .. ورؤية مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

* * *

المعجزات والكرامات

(٤)

المعجزة أمر خارق للعادة يختص به الله الأنبياء والرسل. والكرامة أمر خارق للعادة يختص به الله الأولياء من عباده .

والمعجزات كان أمر لابد منه للأنبياء، حتى يقتنع الناس الذين جاءهم الرسول بدعوته من صدق هذه الدعوة، ولأن هؤلاء الناس من الصعب عليهم أن يصدقوا برسالة جديدة تتنافى مع معتقداتهم التى توارثوها عن الآباء والأجداد.

ولم يستطيعوا أن يستوعبوا بعقولهم القاصرة- التى ران عليها الجهل والتخلف- ما ينادى به رسلهم، فكان لابد أن تأتى المعجزة من الله على رسله وأنبيائه حتى يتيقن الناس بصدق ما يدعون إليه .

والمعجزة أمر خارق لنواميس الكون، وخارج عن سنن الوجود كما عرفها الناس، والأساس فيها يقول الباحث محمد أحمد المولى: أن تكون غير خاضعة لناموس معروف، أو مقيدة بنظام مألوف، ومخطئ من يحاول أن يقربها للأذهان، بأن يدخلها تحت قانون، أو يخضعها لسنن الوجود؛ لأنه بذلك يبطل حقيقتها، ويسقط حجة حاملها، ويردها إلى الظواهر العلمية، أو يلحقها بأعمال السحرة أو حيل المشعوذين .

ويقول عن كيفية وقوع المعجزة للرسول :

« والرسول لا يستطيع أن يأتى بالمعجزة من نفسه، أو اقتراحها من عنده، إذ الأمور التى تقع بها إنما هى مما تفرد به جل شأنه، واختص بها تعالى وحده، فهو قد تفرد بالعلم ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[1] .. واختص بالغيب ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[2]، وتوحد بالقدرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] وأمر رسوله أن يبرأ من دعوى العلم أو القدرة أو الغنى ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[4] . وأن يرد علم الساعة إليه جل شأنه

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾[5]

وتحدى كفار قريش محمدا بالمعجزات فما استطاع إلا أن يعلن بشريته، ويرد صفات الكمال إليه سبحانه :

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن

---

(١) سورة الطلاق ، آية (١٢)

(٢) سورة الجن ، آية (٢٦)

(٣) سورة النور ، آية (٤٥)

(٤) سورة الأنعام ، آية (٥٠)

(٥) سورة الأعراف ، اية (١٨٧)

زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾[1]

ولكن الرسول قد يمنحه الله من صفاته ما يريد، ويجرى على يديه من المعجزات ما يشاء فى ملابسات خاصة، وأحوال مقصودة، فأحيانا يسمعه مالا يسمع غيره كما وقع لموسى، ومرة يقدره على مالم يقدر عليه سواه كما حدث من إبراء الأكمة لعيسى، وآونة يطلعه من الغيب مالم يطلع عليه غيره كما أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم بكثير من الغيوب .

ويقول الأستاذ محمد أحمد جاد المولى عن أنواع المعجزات: ومعجزات الرسل صلوات الله عليهم فى عمومها تنقسم أقساما، كل تقسيم باعتبار خاص.

فهى تارة تنقسم إلى عقلية معنوية كالقرآن، أو حسية كفلق البحر، وإخراج الناقة من الصخر .

وتارة تنقسم إلى ما يكون من نوع قدرة البشر، وفى نطاق شأن الخلق، ولكن الله يصرفهم، ويوقف قدرتهم، كصرف المشركين عن تمنى الموت :

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾[2]

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات (٩٠ - ٩٣)

(٢) سورة البقرة ، الآيتان (٩٤ - ٩٥)

وإلى ما يكون خارجا عن قدرة البشر كوقوع النار بردا وسلاما على إبراهيم. وكانقلاب العصى حية لموسى، ومرة تنقسم إلى ما يكون فى الجهات العلوية كما حصل من انشقاق القمر لمحمد، ورد الشمس ليوشع، وإلى ما يكون فى الجهات الأرضية:

كنبع الماء من بين أصابع محمد، وكتكليم الشجرة له وتسبيح الحصى بين يديه » .

★★★

المعجزة إذن خرق لقوانين الكون والحياة يظهرها الله على أيدى رسله؛ حتى يؤمن بالرسالة الكافرون بها وإذا كانت هذه المعجزات الحسية يراها هؤلاء الناس؛ حتى يتيقنوا بصدق الرسالة، فهناك أيضا معجزات غير حسية، لم يرها الناس، ولكن سمعوها من النبى عليه الصلاة والسلام، كمعجزة الإسراء والمعراج.. فلم يصدق البعض أن الرسول يسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ويعود فى نفس الليلة .

وهناك من لم يصدق أيضًا بالعروج به إلى السموات العلى، وأن يرى مالا عين رأت،ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

وكانت هذه المعجزة فتنة للناس .

المؤمنون صدقوا بها؛ لأن الرسول لا يقول إلا الصدق وأنه لا ينطق عن الهوى .

والمنافقون وأصحاب الأهواء كذبوها؛ لأنهم رأوا فى حديث الإسراء والمعراج، ما يتناسب على أهوائهم، وأمرا من نفوسهم .

والإسراء والمعراج

من لدن الله جل علاه ..

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النجم :

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾(١)

★★★

هذه هى المعجزات التى اختص بها رسله.

أما الكرامة فهى للأولياء.. ليستقر ما وقر فى نفوسهم مما يشاهدونه من أنوار علوية، وفيوضات من الله جل وعلا .

ويستدل الدارسون (للكرامة) بما أفاء الله على عبده الخضر من علوم لدنية، وهو الذى تعلم منه موسى عليه السلام الكثير عندما صاحبه .. ولم يستطع موسى عليه السلام أن يصبر عما رأى من العبد الصالح الذى وهبه الله العلم اللدنى .. فقد هاله سلوكيات العبد الصالح عندما خرق سفينة لبعض المساكين، وعندما أقام جوار فى قرية لم يستضفهما أهلها، وعندما قتل غلاما ..

(١) سورة النجم ، الآيات (١٢ - ١٨)

لقدتزاحمت علامات الاستفهام فى رأس كليم الله موسى عليه السلام حول هذه التصرفات من العبد الصالح .. إن السفينة كانت لمساكين، وأراد أن يعيبها حتى لا يستولى عليها الملك الظالم الذى يأخذ كل سفينة غصبا، وأن الجدار كان تحته كنز، وكان هذا الجدار لغلامين كان أبوهما صالحا؛ حتى لا يضيع هذا الكنز ويعثران عليه عندما يكبران .

وأما الغلام الذى قتله؛ فسوف يكون غلاما فاسدا، وأن الله عوض والده بغلام آخر .. وما فعل كل ذلك إلا بأمر الله.

عندما عرف موسى عليه السلام فك هذه الألغاز؛ استراحت نفسه .. وعرف أن هناك علما آخر .. علما لدنيا يهبه الله لأوليائه.

وفى قصة سليمان عليه السلام، عندما أراد أن يحضر عرش بلقيس من اليمن إليه .. فإن الذى عنده علم من الكتاب أخبره بأنه يمكنه أن يأتى بالعرش - عرش بلقيس - قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه .. وقيل: إن هذا الرجل الذى عنده علم من الكتاب هو: آصف بن برخيا .. وقيل: إنه سليمان عليه السلام نفسه .

ومريم كانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ (١)

فالكرامات موجودة ..

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٣٧)

ولكن لا يحب أن يعوَّل عليها كثيرا ..

كما أن الكرامات كثيرا ما تقترن بالخرافات والخزعبلات .. وكثيرا ما يردد أصحاب (مشايخ الطرق) الكرامات عن مشايخهم؛ حتى تزداد مكانتهم الاجتماعية، وبالتالى تزداد مشاعر الإعجاب بهم من الناس .

وكثيرا ما كانت تنتشر هذه (الكرامات) على أيدى مشايخ الطرق المختلفة، فى عصور الانحطاط الحضارى، والتخلف، وضيق الناس بالأوضاع الاجتماعية، كما حدث فى عصر المماليك، أو العصر العثمانى، حيث انتشرت المظالم ولاذ الناس بالأولياء والصالحين .. وتخيلوا أن على يديهم يمكن أن تحدث (الكرامات) التى تُحِدُّ من ظلم الطغاة من حكامهم الذين تسلطوا على الناس ظلما وبغيا وإرهاقا لهم بالضرائب، ومختلف ألوان الظلم والاضطهاد

ومن هنا نرى أن أبا الحسن الشاذلى كان يرى أن :

« الكرامة الحقيقية إنما هى حصول الاستقامة، والوصول إلى كمالها، ومرجعها أمران :

- صحة الإيمان بالله عز وجل .

- واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا

فالواجب على العبد ألا يحرص إلا عليهما، ولا تكون له همة

إلا بالوصول إليهما، وأما الكرامة– يعنى خرق العادة–، فلا ميزة بها عند المحققين، إذ قد يرزق بها من لم تكمل استقامته، وقد يرزق بها المستدرجون »

ومع ذلك .. فإن الرجل كانت له كرامته ..

منها ما رواه عنه ابن عطاء الله السكندرى

«قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : كنت فى بعض سياحاتى وقد أويت إلى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين، فمكثت فيها ثلاثة أيام لم أذق طعاما، فبعد الثلاثة أيام دخل علىَّ ناس من الروم، كانت قد أرست سفينتهم هنالك، فلما رأونى قالوا :

– شيخ من المسلمين . فوضعوا عندى طعاما وإداما كثيرا، فعجّبت كيف رزقت على أيدى الروم، ومنعت ذلك من المسلمين ؟!

وإذا قائل يقول لى : ليس الرجل من نصر بأحبابه، إنما الرجل من نصر بأعدائه »

★★★

وهناك كرامة لأبى الحسن الشاذلى، يقصها علينا الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، على أساس أنه هو الذى شاهدها وحكاها بنفسه فقال :

« فى فترة من الفترات ابتلانى الله بموضوع شق على نفسى

وعلى نفس المحيطين بى، واستمر الابتلاء مدة كنا نلجأ فيها إلى الله طالبين الفرج .

وذات يوم أتى عندى أحد الصالحين - وكان على علم بهذا الابتلاء .

وأعطانى ورقة كتبت فيها صيغة من صيغ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اقرأها، واستغرق فيها، وكررها منفردا فى الليل لعل الله يجعلها سببا فى تفريج هذا البلاء.

واعتكفت فى غرفة بعد صلاة العشاء، وأضأت نور الغرفة، وأمسكت الورقة بيدى وأخذت فى تكرار الصيغة، واستغرقت فيها وإذا بى أرى فجأة أن الحروف التى كتبت بها الصيغة مضيئةفإن الحروف كانت تتلألأ نورا فى وسط هذا النور ..

ولم أصدق عينى فغمضتهما وفتحتهما عدة مرات فكان النور على ما هو، فوضعت الورقة أمامى ووضعت يدى على عينى أدعكهما وأدعكهما، ثم فتحت عينى فإذا بالحروف على ما هى عليه تتلألأ نورا، وتشع سناء .

فحمدت الله وعلمت أن أبواب الرحمة قد فتحت، وأن هذا النور رمز لذلك، وفعلا أزال الله الكرب وحقق الفرج بكرامة هذه الصيغة المباركة » .

وأمر آخر من خوارق العادات شاهدته بنفسى :

« فى ذات صباح كنت جالسا، فى المنزل، فى غرفة المكتب، كعادتى، وكنت فى تلك اللحظة مطأطئ الرأس، ثم رفعت رأسى ناظرا أمامى، وإذا بى أجد أمامى إنسانا فأخذت أتأمله دون أن أشعر قط بخوف أو فزع .

كان طويلا أقرب إلى النحافة منه إلى السمنه، يميل لونه إلى السمرة، وعلى رأسه شال أبيض أو ما يسميه الحجازيون: (الغطرة)

وكان في وقفته منحنيا قليلا، وقد تأملت ملابسه أيضا في تفاصيلها وشكلها .

لم يتحدث معى ولم أتحدث إليه .

وبعد فترة ونحن على هذا الوضع، أنظر إليه فى تحديق، ويمد عينيه إلىَّ فى نظرات ثابته أخذ يشف شيئا فشيئا .

وألاحظ أنا فى وضوح التدرج فى هذه الشفافية وانتهت الشفافية بزواله تماما دون أن يتحرك من موضعه. ذلك ما شاهدته بنفسى .

وماذا يكون خرق العادات غير هذا .

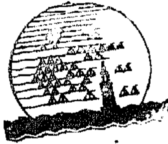
ويقول الدكتور عبد الحليم محمود تعليقا على ذلك :

« إن الذين ينكرون خرق العادات، وينكرون الكرامات لأولياء

الله. إنما ينكرون شيئا أثبتته تجارب الإنسانية منذ أن وجدت الإنسانية .

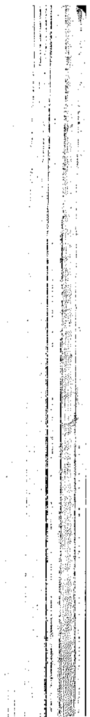
وأثبته القرآن الكريم، وأثبته جمهور الأمة، وقد رأيت أنا خرق العادات بنفسى وبعينى كما رويت سابقًا .

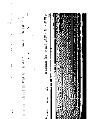
« ومن أجل كل ذلك أثبت ما أثبت فى الكتاب من كرامات أبى الحسن، وبدأته بعد المقدمة مباشرة بكرامة من كراماته، رواها أقرب تلاميذه ومريديه إليه وهو القطب الكبير: أبو العباس المرسى الذى كان شاهد عيان فيها ».



* * *

أبرز تلاميذ الشاذلى





(٥)

المرسى أبو العباس .. خليفة الشاذلى

الحديث عن أبى العباس المرسى حديث مشوق .. لأنه حديث عن إنسان ترك أثرا عميقا فى حياته وبعد مماته .

وهو فى نفس الوقت خليفة العارف بالله أبى الحسن الشاذلى ..

وعندما نشير بسرعة إلى تلك الحياة الخصبة المثمرة المعطاء فإننا بذلك نعطى مجرد إشارة إصبع لهذه الشخصية الجليلة ..

فالحديث عنها قد يستغرق عدة مجلدات ..

وسيرة هذا الرجل يمكن أن تكون قدوة صالحة للسالكين طريق الله .. وطريق الله يتمثل دائمًا فى كتاب الله وسنة رسوله .

من هنا نرى أن أبا العباس المرسى كان إنسانا متعدد الجوانب .. فهو صوفى عظيم .. وهو مرب فاضل .. وهو عالم جليل .. كما أنه كان صاحب كرامات عديدة .. والكرامة بالنسبة للأولياء .. كالمعجزة بالنسبة للأنبياء .. وكلتاهما .. المعجزة والكرامة من الأشياء التى يعجز العقل والمنطق عن تفسيرهما ..

ولكنهما تكريم من الله سبحانه وتعالى لأنبيائه وأوليائه .. فإحياء الموتى على يد عيسى .. والإسراء بمحمد .. وشق البحر بعصا موسى .. كل ذلك من قبيل المعجزات .. ونداء عمر بن الخطاب رضى الله عنه لسارية أن يلزم الجبل .. وكان سارية محاصرًا من قبل الأعداء فسمع وهو بالشام على بعد مئات الأميال صوت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له :يا سارية، الجبل ! .. وما كان منه إلا أن صعد إلى الجبل ونجا بجنده من الأعداء .. هذا من قبيل الكرامة .. وهكذا..

ولد المرسى أبو العباس فى (مرسيه) وهى بلدة فى الأندلس.. وكان ذلك عام (٦١٦هـ - ١٢١٩م) .. وإليها ينسب .. وينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج .. وكان والده تاجرًا، أرسله إلى من يعلمه القرآن الكريم وكان فى سن صغيرة .. وحفظ القرآن الكريم .. ودرس على هذا الفقيه أمور الفقه .. وعندما بلغ سن الشباب.. أخذ يثقف نفسه بنفسه، واشتغل فى نفس الوقت مع والده فى أمور التجارة .. وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره عزم والده أن يأخذ أسرته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج .. وبينما هم فى البحر قامت عاصفة عاتية على أثرها غرق الوالد والوالدة، ونجا هو وأخوه محمد .. كانوا بالقرب من شاطئ تونس .. وكانت الأقدار تعده لأن يسلك طريق الصوفية .. وأن يلتقى بالشاذلى .. ويصبح تلميذه وخليفته ..

إنه يقص قصته مع الشاذلى والصوفية فيقول :

« لما نزلت بتونس سمعت بذكر الشيخ أبى الحسن الشاذلى فقال لى رجل :

أتمضى بنا إليه ؟ فقلت : حتى استخير الله.

فنمت تلك الليلة، فرأيت كأنى أصعد إلى رأس جبل، فلما علوت فوقه، رأيت هنالك رجلا عليه برنس أخضر، وهو جالس وعن يمينه رجل، وعن يساره رجل، فنظرت إليه فقال :

عثرت على خليفة الزمان فانتبهت .

فلما كان بعد صلاة الصبح، جاءنى الرجل الذى دعانى إلى زيارة الشيخ فسرت معه. فلما دخلنا عليه رأيته بالصفة التى رأيته بها فوق الجبل؛ فدهشت !

فقال لى : عثرت على خليفة الزمان : ما اسمك ؟ فذكرت له اسمى ونسبى ، فقال لى : رفعت لى منذ عشر سنين .

وكانت هذه الصحبة مع الشاذلى .. والذى أخذ يتعهده برعايته ليكون خليفته .. ومات الشاذلى، ودفن (بحميثرة) بالصعيد وهو فى طريقه إلى الحج .. بعد أن أوصى أن يكون خليفته أبا العباس المرسى .. وكان أبو العباس المرسى يقول :

« لى أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله صلى وسلم. ولو حجبت عنه طرفة عين ما عددت نفسى من جملة المسلمين » .

ولكنهما تكريم من الله سبحانه وتعالى لأنبيائه وأوليائه .. فإحياء الموتى على يد عيسى .. والإسراء بمحمد .. وشق البحر بعصا موسى .. كل ذلك من قبيل المعجزات .. ونداء عمر بن الخطاب رضى الله عنه لسارية أن يلزم الجبل .. وكان سارية محاصرًا من قبل الأعداء فسمع وهو بالشام على بعد مئات الأميال صوت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له :يا سارية، الجبل ! .. وما كان منه إلا أن صعد إلى الجبل ونجا بجنده من الأعداء .. هذا من قبيل الكرامة .. وهكذا..

ولد المرسى أبو العباس فى (مرسيه) وهى بلدة فى الأندلس.. وكان ذلك عام (٦١٦هـ - ١٢١٩م) .. وإليها ينسب .. وينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج .. وكان والده تاجرًا، أرسله إلى من يعلمه القرآن الكريم وكان فى سن صغيرة .. وحفظ القرآن الكريم .. ودرس على هذا الفقيه أمور الفقه .. وعندما بلغ سن الشباب.. أخذ يثقف نفسه بنفسه، واشتغل فى نفس الوقت مع والده فى أمور التجارة .. وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره عزم والده أن يأخذ أسرته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج .. وبينما هم فى البحر قامت عاصفة عاتية على أثرها غرق الوالد والوالدة، ونجا هو وأخوه محمد .. كانوا بالقرب من شاطئ تونس .. وكانت الأقدار تعده لأن يسلك طريق الصوفية .. وأن يلتقى بالشاذلى .. ويصبح تلميذه وخليفته ..

إنه يقص قصته مع الشاذلى والصوفية فيقول :

« لما نزلت بتونس سمعت بذكر الشيخ أبى الحسن الشاذلى فقال لى رجل :

أتمضى بنا إليه ؟ فقلت : حتى استخير الله.

فنمت تلك الليلة، فرأيت كأنى أصعد إلى رأس جبل، فلما علوت فوقه، رأيت هنالك رجلا عليه برنس أخضر، وهو جالس وعن يمينه رجل، وعن يساره رجل، فنظرت إليه فقال :

عثرت على خليفة الزمان فانتبهت .

فلما كان بعد صلاة الصبح، جاءنى الرجل الذى دعانى إلى زيارة الشيخ فسرت معه. فلما دخلنا عليه رأيته بالصفة التى رأيته بها فوق الجبل؛ فدهشت !

فقال لى : عثرت على خليفة الزمان : ما اسمك ؟ فذكرت له اسمى ونسبى ، فقال لى : رفعت لى منذ عشر سنين .

وكانت هذه الصحبة مع الشاذلى .. والذى أخذ يتعهده برعايته ليكون خليفته .. ومات الشاذلى، ودفن (بحميثرة) بالصعيد وهو فى طريقه إلى الحج .. بعد أن أوصى أن يكون خليفته أبا العباس المرسى .. وكان أبو العباس المرسى يقول :

« لى أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله صلى وسلم. ولو حجبت عنه طرفة عين ما عددت نفسى من جملة المسلمين » .

وكان المرسى أبو العباس يقول إنه شاهد الخضر عليه السلام ..

ويروى لنا التاريخ العديد من الكرامات التى نسبت إلى هذا القطب الجليل ..

وعلى سبيل المثال لا الحصر .. يروى عنه: أن السلطان يعقوب ذبح دجاجة وخنق أخرى ودعا الشيخ أبا العباس المرسى فرفض الأكل قائلا :

إن إحدى الدجاجتين جيفة، والأخرى بخرت بحرق هذه الجيفة ..

ومن الكرامات التى تروى عنه أيضًا .. أنه وبعض المريدين كانوا مع شيخهم الشاذلى وهو فى طريقه إلى الحجاز .. ومات الشاذلى فى الطريق .. ودفن الشاذلى، وغسله المرسى، وصلوا عليه. . ودفن (بحميثرة). . وطلب المرسى أبو العباس أن يواصلوا طريقهم إلى بيت الله الحرام .. فقد أمره الشيخ الشاذلى بذلك، وأخبره أنه سوف تحدث بعض الكرامات .. وقد حدثت كرامة يقصها أبو العباس المرسى بقوله :

سافرنا مع الشيخ رضى الله عنه : في السنة التى توفى فيها، فلما كنا عند أخميم، قال لى الشيخ:

رأيت البارحة كأنى فى جلبلة وأنا فى البحر والرياح قد

اختلفت والأمواج قد تلاطمت، والمركب قد انفتح وأشرفنا على الغرق .. فأتيت إلى جانب المركب وقلت :

أيها البحر .. إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لى .. فالمنة لله السميع العليم، وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم.. فسمعت البحر يقول لى :

الطاعة .. الطاعة ..

فلما سافرنا .. وتوفى الشيخ رضى الله عنه ودفناه بحميثرة فى صحراء عيذاب .. وكنا فى جلبلة .. فلما صرنا وسط البحر .. اختلفت الأمواج، وتلاطمت الرياح، وانفتح المركب، وأشرفنا على الغرق، ونسيت كلام الشيخ .. فلما اشتد الأمر .. ذكرت ذلك .. فأتيت إلى جانب المركب وقلت : أيها البحر، إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لأولياء الله فالمنة لله وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم . فسمعت البحر يقول :

الطاعة .. الطاعة ..

وسكت البحر وطاب السفر ..

والحديث عن المرسى أبى العباس يطول .. فقد كانت له رؤيته الصوفية .. وكانت له تفسيرات للقرآن الكريم .. كما إن كلماته لمريديه كانت مصابيح هداية لهم وللأجيال التالية .. إنها كلمات تنطق عن معان خالدة .. ومن هذه الكلمات التى وعتها ذاكرة الزمن مثل هذه الكلمات التى أوردها ابن عطاء الله السكندرى :

- لما خلق الله تعالى الأرض اضطربت فأرساها بالجبال . وكذلك النفس لما خلقها الله تعالى اضطربت فارساها بجبال العقل..

- ليس العجب ممن تاه فى نصف ميل أربعين سنة، إنما العجب ممن تاه فى مقدار شبر الستين، والسبعين والثمانين سنة وهى : البطن.

- من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم.

- إذا قرأت القرآن فكأنما أقرؤه على الله عز وجل.

- ما سمعتموه منى ففهمتموه فاستودعوه الله؛ يرده عليكم وقت الحاجة، وما لم تفهموه فوكلوه إلى الله يتول الله بيانه واسعوا فى جلاء مرآة قلوبكم يتضح لكم كل شىء .

وما أكثر الكلمات المضيئة التي انتقلت إلينا عبر التاريخ من هذا الرجل .. الذى جاء إلى مصر .. وتقابل مع الشاذلى .. وكان تلميذه المخلص وخليفته .. وظل سالكا طريق الله إلى أن انتقل إلى رحابه فى الخامس والعشرين من ذي القعدة (٦٨٥ هـ - ١٢٨٧ م) وكانت سنه حوالى سبعين عاما ..

والذى يقرأ أدعيته .. يرى فيها الإيمان والإخلاص لله .. والاستغراق كلية فى حب الله .. ذلك الحب الذى كان ينسيه أى شىء آخر فى الوجود .. لنقرأ معًا مثل هذا الدعاء الخاشع الذى كان يتوجه به إلى العلى القدير :

« يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع بينى وبين طاعتك علي بساط مساعدتك، وفرق بينى وبين هم الدنيا وهم الآخرة، ونب عنى فى أمرهما : واجعل همى أنت .،. واملأ قلبى بمحبتك وبهجة بأنوارك .. وخشع قلبى بسلطان عظمتك، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك » .

أما مسجد سيدى أبى العباس المرسي بروعة مبانيه التى تراها عليه اليوم فله قصة .. فقد دفن أبو العباس فى مقبرة باب البحر عند وفاته، وبعد ذلك بحوالى ٢١ سنة رأى أحد أثرياء الاسكندرية من التجار واسمه زين الدين بن القطن رؤيا بمقتضاها قام الرجل ببناء مسجد على هذه المقبرة.

وظل هذا المسجد يأخذ فى الاتساع والإضافات التى كان يضيفها محبو الشيخ. إلى أن أخذت وزارة الأوقاف تعد مشروعا لهذا المسجد سنة ١٩٢٧، وعلى أساسه قررت بناء المسجد من جديد على شكل يليق بصاحبه الصوفى الجليل .

وقد وضعت أسس بناء هذا المسجد بالفعل سنة ١٩٢٩ . وفى عام ١٩٤٤ تم بناء هذه التحفة المعمارية الممتازة .. التى جعلته ضمن أجمل مساجد الشرق .. هذا المسجد الذى شاهد انطلاقة ثورة ١٩ الخالدة .. وكانت المظاهرات تنطلق من ساحته .. وكثيرا ما اجتمع فيه رجل الدين الإسلامى والمسيحى أثناء هذه الثورة

الشعبية الشاملة عام ١٩١٩ . منطلقة إلى مختلف أرجاء الاسكندرية مطالبة بالحرية والاستقلال لشعب طالما أضنته سياط المستعمرين.

إن هذا المسجد يرمز دائما إلى جمال الروح عندما تصفو متحررة من الأوحال .. متطلعة إلى النور .. عازفة عن الدنيا .. راغبة فى نعيم الله .. وصدق الله العظيم ..

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] .

* * *

(١) سورة يونس ، آية (٦٢)

ابن عطاء الله السكندرى .

« معصية أورثت ذلا وافتقارا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا »

ابن عطاء الله السكندرى .




(٦)

ابن عطاء الله السكندرى

ابن عطاء الله السكندرى من أشـهـر الأسـمـاء فى عـالم التصـوف، وهو تلميـذ أبى العبـاس المرسى خليفـة أبى العبـاس الشاذلى، وإلى ابن عطاء الله السكندرى يرجع الفضل بالتعـريف بمؤسس الطريقـة الشاذليـة أبى الحسن ، وتلميذه أبى العبـاس المرسى، فقد كتب عنهما وعن طريقتهما الشاذلية، بل لقد خلف أبا العباس المرسى فى رئاسة هذه الطريقة .

وقـد ولد ابن عطاء الله السكندرى، وكـان جـده يعـمل بالتدريس، وقد أرجع الدكتور أبو الوفا التفتازانى مولده فيما بين سنتى ٦٥٨ هـ و ٦٧٩ هـ ، استنتاجا من خلال دراسته عن ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه.

وبالرجوع إلى مختلف الدراسات التى تناولت حياة هذا .. الصوفى الكبير، والأديب الكبير أيضا؛ لأن كتاباته تتسم بالحس اللغوى الجذاب، وحساسيـة الأدباء .. من خلال الدراسات التى تناولت سيرة حياته يعرف أنه تتلمذ على أشهر فقهاء وعلماء

الإسكندرية، وكانت الإسكندرية فى عصره تعج بالعلماء فى مختلف التخصصات من: فقه، وتفسير، وحديث ، ونحو، ومختلف العلوم ..

كما أن الإسكندرية أيضا كانت زاخرة بأعلام التصوف وعلى رأسهم الشيخ أبو الحسن الشاذلى، وتلميذه أبو العباس المرسى .

وكان والد ابن عطاء الله يعرف أبا الحسن الشاذلى، وقد أورد ابنه فى كتابه (لطائف المنن) عن والده أنه أخبره بأنه ذهب إلى الشيخ الشاذلى وأنه سمعه يقول :

- « والله قد تسألوننى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب، فأرى الجواب مسطرا فى الدواة، والحصير، والحائط »

ويبدو أن ابن عطاء الله السكندرى قد تأثر فى أول حياته العلمية بجده الفقيه الذى كان يعترض على الصوفية، ولا يعترف بهم، بل كان يؤذيهم، يتضح ذلك من هذه القصة التى أوردها ابن عطاء الله فى كتابه (لطائف المنن) :

« قال الشيخ أبو العباس المرسى لأصحابه : إذا جاء ابن فقيه الاسكندرية (ابن عطاء الله) - فأعلمونى به، فلما أتيت وعلم بى قال :

جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه ملك الجبال ، حين كذبته قريش، فسلم عليه ملك الجبال وقال :

- يا محمد، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فعلت؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- لا .. ولكن أرجو أن يخرج من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيئا .

فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يخرج من أصلابهم ، كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه - ابن عطاء الله- لأجل هذا الفقيه »

وهذه القصة تعنى : أن أبا العباس كان يأمل فى ابن عطاء الله السكندرى أن يدخل الطريقة الشاذلية .. وربما كان يرى بعين الكرامة أن هذا الفتى المتأثر بجده فى كراهية أهل الطريق، سوف يكون من أتباع الطريق .. وأن يكون خليفة له .. وأنه ينتظره الكثير فى الطريقة الشاذلية.

وقد صدق حدس أبى المرسى

فابن عطاء الله الذى كان يكره الصوفية كجده، ودرس بعمق علوم الشريعة، وسلك عن طريق أبى العباس المرسى الطريقة الشاذلية،وتعمق علوم الصوفية كما تعمق علوم الشريعة أى أنه جمع بين الحقيقة والشريعة كما يقول أتباع الصوفية.

ولقد عبر عن تأثره بأبى العباس المرسى، أنه قال عقب لقائه به :

« .... فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارع بها، وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض إلهى، فأذهب الله ما كان عندى »

***

لقد خرج ابن عطاء الله من عند أبى العباس .. متأثرا به أشد التأثر، وسرعان ما اتخذه شيخه، وسار على نهجه، واتبع تعاليمه، ومنها أن يظل مشتغلا بالعلوم الشرعية بجانب علوم الحقيقة .

وقد مر ابن عطاء الله السكندرى بعد أن اغترف من العلوم الشرعية، وعلوم الحقيقة، بمرحلة استقرار نفسى واطمئنان وجدانى، بعد أن عرف طريقه إلى الله .. ووجد فى الصوفية المرفأ الآمن لعقله ووجدانه .

وانتقل ابن عطاء الله إلى القاهرة للتدريس فى الأزهر الشريف، حيث كان يلقى دروسه فى التصوف فى الأزهر .. وحيث التف حوله الناس لعمق ثقافته الشرعية والصوفية .. وفى نفس الوقت الذى كان يلقى فيه دروسه فى الأزهر ، كان كثير التعبد، كثير الخلوة مع الله .. كثير التذكر له .

وعندما توفى شيخه أبو العباس المرسى سنة ٦٨٦ هـ خلفه ابن عطاء الله السكندرى فى المشيخة. وأصبح له مريدون كثيرون ..

خاصة أنه كان وافر الإنتاج فى مختلف فروع المعرفة من علم وفقه وأدب ونحو، ومن كتبه الهامة التى تركها للمكتبة الإسلامية : التنوير فى إسقاط التدبير، والحكم العطائية، ولطائف المنن، والتعبد المجرد فى الاسم المفرد، وغيرها من المؤلفات الهامة التى استفاد بها الناس فى عصره .. كما استفاد بها الناس الذين جاءوا بعده إلى الآن، وستظل هذه المؤلفات يرى فيها الباحثون فى مختلف العصور زادا لأرواحهم ولعقولهم أيضا .

ومن حكمه قوله :

● ربما فتح لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب، فكان سببا فى الوصول .

● معصية أورثت ذلا وافتقارا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا .

● من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات »

● العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله إحسان ومن عمق أفكاره قوله :

إن أردت ألا تعزل ، فلا تتول ولاية لا تدوم لك .

***

ومن خلال حكم ابن عطاء الله السكندرى يلاحظ القارئ أن الكثيرة منها تحث فى طلب ما عند الله، وترك ما فى أيدى الناس، لأن الله هو النافع الضار .. وهو الغنى الحميد، وكلما بعد الإنسان عن أطماع الدنيا، والعزوف عما عند الناس، كلما كان أقرب إلى الله .. وكلما شعر بالأمن والأمان .. لأن الأمن والأمان من الله، وبرحمته التى تعم الناس جميعا، يشعر الإنسان باستقرار النفس وطمأنينة الضمير.

إنه يذكرنا بقول شيخ شيخه أبى الحسن رضى الله عنه حين قال :

« اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم؛ لأن خيرهم يصيبك فى قلبك، وشرهم يصيبك فى بدنك، ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك، ولعدو ترجع به إلى الله تعالى خير من صديق يصدك عن الله »

★★★

وقد عشت فى دراسة كتبها الأستاذ فاروق منصور

دراسة في التصوف الإسلامى مع النص الكامل لرسالة (التعبد المجرد فى معرفة الاسم المفرد) لابن عطاء الله السكندرى.. إنه يحدثنا عن سيرة حياة ابن عطاء الله ومؤلفاته، كما يحدثنا عن التصوف الإسلامى ونشأته وتطوره، ونقف عند هذا الكتاب الهام..

حيث قسم كتابه إلى فصول، الفصل الأول خصه لذكر اسم الله تعالى، وقد بدأه بالاستشهاد بآيات الله البينات ليوضح لنا كيف ذكر الحق تبارك وتعالى اسمه الأعظم فقال ابن عطاء الله :

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (١)

وقال الله تعالى :

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾(٢)

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣)

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٤)

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (٥)

وقال تعالى :

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ (٦)

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٢)
(٢) سورة النساء ، آية (٨٧)
(٣) سورة النمل ، آية (٢٦)
(٤) سورة طه ، آية (٩٨)
(٥) سورة الأنعام ، آية (٣)
(٦) سورة طه ، آية (١٤)

(ذكر اسم الله)

فتنبه - أيدك الله تعالى - فى هذه الآيات وفى أمثالها كيف ابتدأ فيها بذكر الله، ونفى ما سواه، وإثباته إياه .

فكل اسم من أسمائه إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته وإن أظهره بالهاء فهو عائد عليه، وهو فيه وإليه، فإنه لا يتم ذكره إلا بإظهار الهاء، وسيأتى ذكر ذلك في الكلام على حروفه بيننا إن شاء الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ (١) كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذي في السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفي الأَرْضِ إِلَه ﴾ (٢) .

أراد فيهما معرفته بالألوهية وعبادته وذكره، بفعله وحكمه وأمره .

ويورد ابن عطاء الله بعض الأحاديث النبوية منها قوله عليه الصلاة والسلام :

« أمرت إن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »

وتتمة الحديث الذى رواه مسلم بأسانيده عن أبى هريرة

« فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله »

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٣)

(٢) سورة الزخرف ، آية (٨٤)

وفى رواية أخرى :

« حتى يشهدوا أن لا إله إلا اله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل :

« يا معاذ، ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار ؛

فقال معاذ :

يا رسول الله، أفلا أخبر الناس؛ فيستبشرون ؟!

فقال صلى الله عليه وسلم :

« إذن يتكلوا »

و يسوق ابن عطاء الله أحاديث كثيرة عن اسم (الله) وحقيقة معرفة الله، وأهمية العلم والعمل، كما يحدثنا عن معنى (التوحيد) .. وخصوصية هذا الاسم (الله)، إنه يريد أن يصل إلى الاسم الأعظم .. وهو الله .. ويقول :

﴿ قُلْ من رَبُّ السَّموات والأَرض قُل الله ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ قُل اللهُ ثُم ذرهُم ﴾ (٢)

---

(١) سورة الرعد ، آية (١٦)

(٢) سورة الأنعام ، آية (٩١)

ويخلص من ذلك إلى الاسم الأعظم .. (الله) .. فيقول :

« وهو الاسم الأعظم » فإنه روى فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن اسم الله الأعظم فقال :

-« اسمه: الله الحى القيوم »

وهو الاسم المقدس المنزه المكرم، اسم ذاته النعوت بصفاته . المخصوص بالتقديم على الأسماء والتشريف والتعظيم . وقد تنزل الأسماء منزلة الصفات، وتنزل الصفات منزلة الأسماء اتساعا فى الألفاظ، وتجمعها كلها صفة الألوهية .

ويختتم الإمام ابن عطاء الله رضي الله عنه رسالته (القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد) بهذا الدعاء الذى يقول فيه: فتنبه-رحمك الله- لهذه اللطائف المسنة، والمعارف الفاضلة الجليلة البديعة المستحسنة. وتفهم عندتذكرها فى معانى أسرارها عجبا، وتستفد أدبا . وادع لكاتبها ومؤلفها أن يتفهما الله بعوارفها ومعارفها.

تسأله أن ينور الله بصائرنا بنور توحيده ومعرفته وأن يمد عقولنا بمواد توفيقه وهدايته

وأن يحرس عقائدنا بالتمسك بكتابه وسنته.

فإنه المرشد للطريق، والهادى إلى طلب التحقيق والموفق المعين، الساقى بكأس معين من عيون المعارف وأنواع اللطائف: من شاء من العباد، ومن سماه بالمراد بمنه وفضله وطوله.

« وهو حسبى ووليى فى شرح صدرى وتنوير قلبى والأمر لله، ولا قوة إلا بالله »

★★★

هذه مجرد إشارة من بعيد .. مجرد إشارة إصبع .. عن هذا التلميذ النجيب . فى مدرسة أبى الحسن الشاذلى.. تاج الدين أبى الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسن بن عطاء الله السكندرى .

هذا الرجل النقى الورع الذى ملأ عصره بالنور والمعرفة، فأحبه الناس، والتفوا حوله، وعرفوا عن طريقه الطريقة الشاذلية، والشيخ أبا الحسن الشاذلى، وعرفوا عن طريقه أيضا تلميذ الشاذلى وأستاذ ابن عطاء الله .. أبا العباس المرسى .

التف حوله الناس .. يستوعبون منه درس الفقه والأدب والنحو والشريعة والتصوف أيضا، وعندما أذنت شمس حياته بالمغيب؛ خرجت الجماهير تشيعه إلى مثواه الأخير .. مترحمة عليه، وعلى سلوكياته وأخلاقياته المستمدة من روح الإسلام الحنيف، وكان ذلك فى جمادى الآخر سنة تسع وسبعمائة.. حيث دفن فى ضريحه الموجود فى البساتين .. وحيث يوجد مسجده الذى بنى له فيما بعد بفضل الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ عبد الحليم مجاهد .. وفيه ضريحه الذى يليق به .

أحزاب أبى الحسن الشاذلى

« اخترنا هذه الأوراد للإمام أبى الحسن الشاذلى. كما أوردها الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه عن الإمام الشاذلى» .



(٧)

حزب البر

المعروف بالحزب الكبير

وهذا الحزب يقرأ بعد صلاة الصبح .. ولا يتكلم عند تلاوته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ وإذا جاءكَ الَّذينَ يُؤْمنُونَ بآيَاتنا فَقُلْ سلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ علىٰ نَفْسه الرَّحْمَةَ أَنَّهُ منْ عَملَ منكُمْ سُوءًا بجهَالَةٍ ثُمَّ تابَ منْ بَعْده وَأَصْلَحَ فأَنَّهُ غفُورٌ رَحيم ﴾(١)

﴿بديعُ السَّموَات والأرْض أنىٰ يكُونُ لهُ ولدٌ ولمْ تكُن لهُ صاحبةٌ وخلق كُل شيءٍ وهُو بكُل شيءٍ عليم﴾ (٢)

﴿ذلكُمُ اللهُ ربُّكُم لا إله إلاَّ هُو خالقُ كُل شيْءٍ فاعْبُدُوهُ وهُو علىٰ كُل شيْءٍ وكيل * لا تُدْركُهُ الأبْصارُ وهُو يُدْركُ الأبْصار وهُو اللَّطيفُ الْخبيرُ﴾(٣)

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٥٤)

(٢) سورة الأنعام ، آية (١٠١)

(٣) سورة الأنعام ، آية (١٠٢)

﴿الـر﴾ (١)

﴿كهيعص﴾ (٢)

﴿حم * عسق﴾ (٣)

﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى * الرحمن على العرش استوى * له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى * الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ (٤)

اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف وقد وسعت كل شىء من جهالتى بعلمك فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك واغفر لى إنك على كل شىء قدير .

يا الله يا ملك يا وهاب هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك واكسنا كسوة تقنا بها من الفتن فى جميع عطاياك وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى علمك عمن سواك .

يا الله يا عظيم يا على يا كبير، نسألك الفقر مما سواك . والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك. والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك . واكسنا جلابيب العصمة فى الأنفاس واللحظات،

---

(١) سورة الحجر ، آية (١)

(٢) سورة مريم، آية (١)

(٣) سورة الشورى ، الآيتان (١، ٢)

(٤) سورة طه ، الآيات (١- ٨)

واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات. وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والممات .

اللهم، أنت الحميد الرب المجيد الفعال لما تريد، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا وتعلم حزننا كذلك ، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا، ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك إنك على كل شىء قدير .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك. فهنيئا لمن عرفك فرضى بقضائك. والويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك.

اللهم؛ إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك، فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد يحجب عنك، فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك، فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته، وظهرت الشقاوة على من غيرت ملكه، فهب لنا من مواهب السعداء، واعصمنا من موارد الأشقياء .

اللهم، إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم، وقد أمرتنا ونهيتنا، والمدح والذم ألزمتنا فأخو الصلاح من أصلحته،

وأخو الفساد من أضللته، والسعيد حقا من أغننا عن السؤ
والشقى حقا من حرمته مع كثرة السؤال لك، فأغننا بفد
سؤالنا منك، ولا تحرمنا من رحمتك، مع كثرة سؤالنا لك،
كل شىء قدير .

يا شديد البطش، يا جبار يا قهار يا حكيم، نعوذ بك
ما خلقت، ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت، ونعوذ بك
النفوس فيما قدرت وأردت، ونعوذ بك من شر الحساد
أنعمت، ونسألك عز الدنيا والآخرة، كما سألك نبيك سيد
صلى الله عليه وسلم، عز الدنيا بالإيمان والمعرفة، وعـ
باللقاء والمشاهدة أنك سميع قريب مجيب .

اللهم؛ إنى أقدم لك بين يدى كل نفس ولمحة وطرف
بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شىء هو فى علمك كا
كان، أقدم إليك بين يدى ذلك كله ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَي
تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي
إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ ع
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
الْعَظِيمُ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٥٥)

أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك، ونور عينيك، وكمال أعينك أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك، وتعلقت به قدرتك، وأحاط به علمك، واكفنا شر ما هو ضد لذلك، وأكمل ديننا، وأتمم علينا نعمتك، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة، مع الحياة الطيبة، والموتة الحسنة، وتول قبض أرواحنا بيدك، وحل بيننا وبين غيرك فى البرزخ وما قبله وما بعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك وجميل فضلك إنك على كل شىء قدير .

يا الله، يا على ، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، يا سميع، يا قريب، يا مجيب، يا ودود، حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء، والغفلة ، والشهوة، وظلم العباد، وسوء الخلق، واغفر لنا ذنوبنا، واقض عنا تبعاتنا، واكشف عنا السوء، ونجنا من الغم، واجعل لنا منه مخرجا إنك على كل شىء قدير .

يا الله يا الله يا الله يا لطيف يا رزاق يا قوي يا عزيز لك مقاليد السموات والأرض تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم لنا بالسعادة التى ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة، وأدخلنا بفضلك فى ميادين الرحمة واكسنا من نورك جلابيب العصمة، واجعل لنا ظهيرا من عقولنا ومهيمنا من أرواحنا ومسخرا من أنفسنا، كى نسبحك كثيرا

ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة وافتح أسماعنا وأبصارنا واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن بما تذكرنا به إذا ذكرناك وارحمنا إذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك. واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك فإنك بكل شىء عليم .

اللهم، إنا نسألك لسانا رطبا بذكرك وقلبا مفعما بشكرك وبدنا هينا لينا بطاعتك واعطنا مع ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما أخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم حسب ما علمته بعلمك وأغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك إنك على كل شىء قدير.

اللهم، إنا نسألك إيمانا دائما، ونسألك قلبا خاشعا، ونسألك علما نافعا، ونسألك يقينا صادقا، ونسألك دينا قيما، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس .

اللهم، إنا نسألك التوبة الكاملة، والمغفرة الشاملة، والمحبة الكاملة الجامعة، والخلة الصافية، والمعرفة الواسعة، والأنوار الساطعة، والشفاعة القائمة والحجة البالغة والدرجة العالية، وفك وثاقنا من المعصية ورهاننا من النقمة بمواهب المنة .

اللهم، إنا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، فذكرنا بالخوف قبل هجوم خطراتها، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها، واستبدلها بالكراهة لها، والطعم لما هو بضدها .

وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك؛ حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها .

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا؛ لتكون توبتنا تابعة إليك منا وهب لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات؛ ليكون قدوة لولده فى التوبة والأعمال الصالحات، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس الغواة واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالإحسان لا ينفع مع البغض منك والإساءة لا تضر مع الحب منك وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف، فآمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا واعطنا سؤلنا فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك وكتبت وحببت وزينت وكرهت وأطلقت الألسن بما به ترجمت، فنعم الرب أنت فلك الحمد على ما أنعمت، فاغفر لنا ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء، ولا بكفران النعم وحرمان الرضاء .

اللهم، رضنا بقضائك، وصبرنا على طاعتك، وعن معصيتك وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الإيمان بك، حتى لا نخاف غيرك ولا نرجو غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئا سواك، وأوزعنا شكر نعمائك وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك وأسفر وجوهنا بنور صفائك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا نعم المجيب، يا نعم المجيب، يا نعم المجيب .

يا من هو هو هو فى علوه قريب ياذا الجلال والإكرام، يا محيطاباالليالى والأيام، أشكو إليك من غم الحجاب وسوء الحساب وشدة العذاب، وإن ذلك لواقع ماله من دافع إن لم ترحمنى

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه ورددت عليه ما ذهب من بصره وجمعت بينه وبين ولده، ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه، ولقد ناداك زكريا فوهبت له

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤)

---

(١) سورة فاطر ، آية (١، ٢)

(٢) سورة النحل ، آية (٧٥)

(٣) سورة الزمر ، آية (٢٩)

(٤) سورة الزمر ، الآيتان (٧٤ ، ٧٥)

﴿فللَّه الْحمْدُ رَبِّ السَّموَاتِ ورَبِّ الأَرْضِ ربِّ الْعَالمِين * ولَه الكبرياءُ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [1] .

﴿ فسُبْحَانَ اللَّه حِينَ تُمْسُونَ وحِينَ تُصْبِحُونَ * ولَهُ الْحمْدُ فِي السموات والأَرْضِ وعَشيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ويُحْيِي الأَرْضَ بعْدَ موْتِهَا وكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [2].

﴿سُبْحَانَ ربِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عمَّا يصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [3] .

* * *

(١) سورة الجاثية ، الآيتان (٣٦ ، ٣٧)

(٢) سورة الروم ، الآيات (١٧- ١٩)

(٣) سورة الصافات ، الآيات (١٨٠ – ١٨٢)

٣- حزب الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (اللهم) إنا نسألك إيمانا لا ضد له، ونسألك توحيدا لا يقابله شرك، وطاعة لا تقابلها معصية، ونسألك محبة لا لشىء ولا على شىء، وخوفا لا من شىء ولا على شىء.

ونسألك تنزيها لا من نقص ولا من دنس بعد التنزيه من النقائص والأدناس، ونسألك يقينا لا يقابله شك، ونسألك تقديسا ليس وراءه تقديس، وكمالا ليس وراءه كمال، وعلما ليس فوقه علم . ونسألك الإحاطة بالأسرار وكتمانها عن الأغيار .

رب، إنى ظلمت نفسى ؛ فاغفر لى ذنبى وهب لى تقواك، واجعلنى ممن يحبك ويخشاك، واجعل لى من كل ذنب وهم وغم وضيق وسهو وشهوة ورغبة ورهبة وخطرة وفكرة وإرادة وفعلة وغفلة ومن كل قضاء وأمر مخرجا . أحاط علمك بجميع المعلومات، وعلت قدرتك على جميع المقدورات، وجلت إرادتك أن يوافقها أو يخالفها شىء من الكائنات. حسبى الله. حسبى الله. حسبى الله . وأنا برىء مما سوى الله .

﴿اللَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١).

لا إله إلا الله نور عرش الله

لا إله إلا الله نور لوح الله

لا إله إلا الله نور قلم الله

لا إله إلا الله نور رسول الله

لا إله إلا الله نور سر رسول الله

لا إله إلا الله نور سر ذات رسول الله

لا إله إلا الله آدم خليفة الله

لا إله إلا الله نوح نجى الله

لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله

لا إله إلا الله موسى كليم الله

لا إله إلا الله عيسى روح الله

لا إله إلا الله محمد حبيب الله

لا إله إلا الله الأنبياء خاصة الله

لا إله إلا الله الأولياء أنصار الله

لا إله إلا الله الرب الإله الملك النور الحق المبين.

---

(١) سورة التوبة ، آية (١٢٩)

لا إله إلا الله الملك اللطيف الرزاق القوى العزيز ذو القوة المتين. لا إله إلا الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار. لا إله إلا الله العلى العظيم . لا إله إلا الله الحكيم الكريم. لا إله إلا الله الرب العظيم . سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم .

الحمد لله رب العالمين .

بسم الله، وبالله، ومن الله ، وإلى الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

حسبى الله. آمنت بالله. رضيت بالله. توكلت على الله . لا قوة إلا بالله .

أتوب إليك بك منك إليك : ولولا أنت لما تبت إليك . فامح من قلبى محبة غيرك، واحفظ جوارحى عن مخالفة أمرك، والله لئن لن ترعانى بعينك، وتحفظنى بقدرتك، لأهلكن نفسى، ولأهلكن أمة من خلقك، ثم لا يعود ضرر ذلك إلا على عبدك، أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك عن عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، بل أنت أجل من أن أثنى عليك، وإنما هى أعراض تدل على كرمك، قد منحتها لنا على لسان رسولك؛ لنعبدك بها على أقدارنا لا على قدرك ، فهل جزاء الإحسان الأول الكامل إلا الإحسان منك .

يا من به ومنه وإليه يعود كل شىء. أسألك بحرمة الأستاذ،

بل بحرمة النبى الهادى، صلى الله عليه وسلم، وبحرمة الاثنين والأربعة، وبحرمة السبعين والثمانية وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك صلى الله عليه وسلم، وبحرمة سيدة آى القرآن من كلامك، وبحرمة السبع المثانى والقرآن العظيم بين كتبك، وبحرمة الاسم الأعظم الذى لا يضر معه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم، وبحرمة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(١) :

اكفنى كل غفلة وشهوة ومعصية مما تقدم أو تأخر ، واكفنى كل طالب يطلبنى من خلقك بالحق وبغير الحق فى الدنيا والآخرة؛ فإنه لك الحجة البالغة وأنت على كل شىء قدير، واكفنى هم الرزق وخوف الخلق، وأسألك بى سبيل الصدق، وانصرنى بالحق، واكفنا كل عذاب من فوقنا أو من تحت أرجلنا أو يلبسنا شيعا أو يذيق بعضنا بأس بعض، واكفنا كل هم وغم وكل هول دون الجنة، واكفنا شر ما تعلق به علمك مما كان ويكون إنك على كل شىء قدير .

سبحان الملك الخلاق، سبحان الخلاق الرزاق، سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون، سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان من يحيى ويميتى، سبحان الحى الذى لا يموت، سبحان الملك القادر، سبحان العظيم القاهر، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير .

---

(١) سورة الإخلاص

حسبى الله الذى لا إله إلا هو عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون .

أعوذ بالله من جهد البلاء ، ومن سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، وأعوذ بالله ربى وربكم ورب كل شىء من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب .

يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، انصرنى بالخوف منك والتوكل عليك، حتى لا /زخاف غيرك، ولا أعبد شيئا سواك.

يا خالق السبع سماوات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن، أشهد أنك على كل شىء قدير، وأنك قد أحطت بكل شىء علما، أسألك بهذا الأمر الذى هو أصل الموجودات، وإليه المبدأ والمنتهى، وإليه غايات الغايات، أن تسخر لنا هذا البحر، بحر الدنيا وما فيه ومن فيه، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الرياح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لى كل بحر هولك، وسخر لى كل جبل، وسخر لى كل حديد، وسخر لى كل ريح، وسخر لى كل شيطان من الجن والإنس، وسخر لى نفسى، وسخر لى كل شىء، يا من بيده ملكوت كل شىء، واحمل أمرى باليقين، وأيدنى بالنصر المبين، إنك على كل شىء قدير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

حزب الشيخ أبى الحسن [1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[2]. آمين .

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [3] .

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

(١) هذا الحزب الجليل رواه ابن عطاء الله ، رضى الله عنه، ولم يضع له أسماء

(٢) سورة الفاتحة

(٣) سورة البقرة ، آية (٢٥٥)

وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[1].

﴿الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام * إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء * هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [2].

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ [3].

﴿الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان (٢٨٥، ٢٨٦)

(٢) سورة آل عمران ، الآيات (١-٦)

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان (٢٦ ، ٢٧)

خطيئتي يومَ الدين * ربِّ هب لي حكمًا وألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي إنه كان من الضالين * ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم * وأزلفت الجنة للمتقين * وبرزت الجحيم للغاوين ﴾(١).

﴿سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ﴾(٢)

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.﴾(٣)

(١) سورة الشعراء ، الآيات (٧٨ - ٩١)

(٢) سورة الحديد ، الآيات (١- ٦)

(٣) سورة الحشر ، الآيات (٢٢- ٢٤)

﴿والضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (١)

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣) .

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الضحى

(٢) سورة الشرح

(٣) سورة التوبة ، آية (١١١)

(٤) سورة التوبة ، آية (١١٢)

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (1).

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (2)

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۞ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ

(1) سورة المؤمنون ، الآيات (1، 11)

(2) سورة الأحزاب ، آية (35)

لفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾(١).

اللهم إنا نسألك صحبة الخوف وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر.

ونسألك سر الأسرار المانع من الإصرار حتى لا يكون لنا مع الذنب أو الغيب قرار واجتبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التى بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بهن إبراهيم خليلك فأتمهن:

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾(٢)

فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح واسلك بنا سبيل أئمة المتقين .

بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

---

(١) سورة المعارج ، الآيات (١٩ - ٣٥)

(٢) سورة البقرة ، آية (١٢٤)

حسبى الله آمنت بالله، رضيت بالله، توكلت على الله، ولا قوة إلا بالله أشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رب اغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[1] .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾[2] .

رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا فاغفر لى وتب على لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم يا سميع يا بصير يامريد يا قدير يا حى يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا من هو هو حيا هو يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام .

اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لا يضر معه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهب لى منه سرا لا تضر معه الذنوب شيئا واجعل لى منه وجها تقضى به الحوائج للقلب والعقل والروح والسر والنفس والبدن ووجهًا ترفع به الحوائج من القلب والعقل والسر

---

(١) سورة الفاتحة

(٢) سورة النمل ، آية (٥٩)

والروح والبدن والنفس وأدرج أسمائى تحت أسمائك، وصفاتى تحت صفاتك، وأفعالى تحت أفعالك درج السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة وظهور الإمامة وكمل لى ما ابتليت به أئمة الهدى من كلماتك وأغننى حتى تغنى بى وأحينى حتى تحيى بى ما شئت ومن شئت من عبادك واجعلنى خزانة الأربعين ومن خلاصة المتقين واغفر لى فإنه لا ينال عهدك الظالمين .

﴿طسٓ ﴾[1].

﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ [2] .

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ ﴾ [3] .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[4] .

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [5] .

---

(١) سورة النمل ، آية (٥١)

(٢) سورة الشورى ، الآيتان (١-٢)

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان (١٩ ، ٢٠)

(٤) سورة الفاتحة

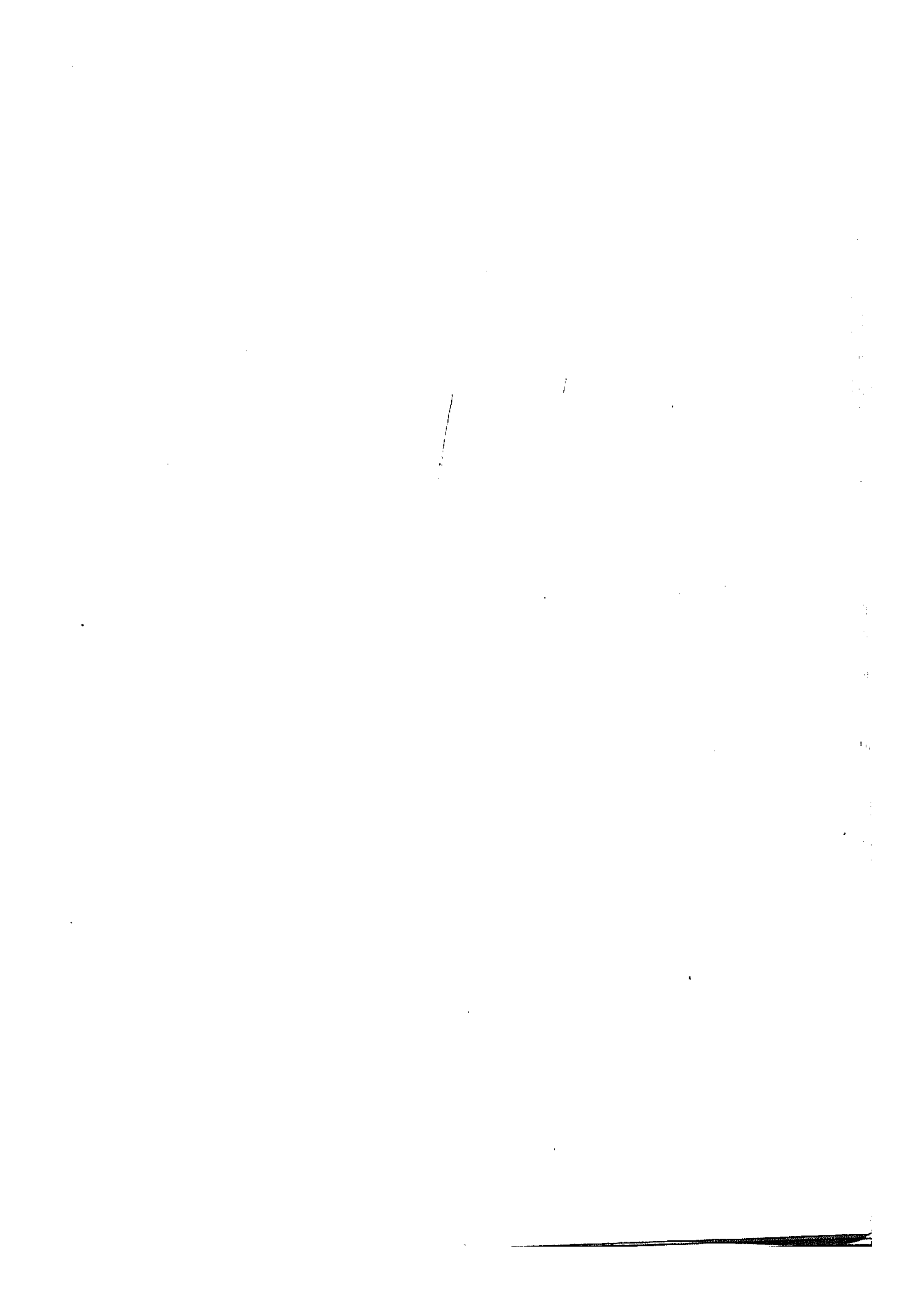
(٥) سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ .

★ ★ ★

وتبقى كلمة



(٨)

الإسلام دين بسيط للغاية .

ليس فيه تعقيد ولاشىء عسير على الفهم

إنه دين الفطرة .

لا يتطلب من صاحبه إلا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وأن يعمل الإنسان بما فيه من تعليمات وأوامر، وأن يبتعد عما نهى عنه من البعد عن الفحشاء والمنكر.

فهو دين الفضيلة.

وهو دين الوسط

وهو دين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والإنسان من خلاله تتسق رؤيته لله والكون والحياة وما وراء الحياة .

وهو دين يحث على العلم.

وهو دين يحث على العمل .

وهو دين يحث على تأمل ملكوت الله .. وهو كتاب الله المفتوح.. إنه يحث على قراءة كتاب الله.

إنه النظرة المعتدلة إلى الحياة .

ليس فيه تعسف .. ولا إرهاب .. ولا فرض الرأى الواحد.

فالإسلام له أصول .. لا يختلف عليها أحد .

وله فروع لا يؤدى الاختلاف فيها إلى شطط الرأى وجموح التسلط الأعمى .

وإذا كان الإسلام عقيدة وشريعة .. وعبادات فإن المؤمن مطالب بأن يؤدى الفرائض التى فرضها الله عليه .. ويتجنب النواهى التى نهى عنها .. يتساوى فى ذلك كل المؤمنين أما إذا أراد الإنسان أن يتقرب إلى ربه أكثر .. وأن يشعر بسعادة القرب من الله.. محاولا أن يصل إلى درجة الإحسان .. التى تتلخص فى أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. فإنك فى هذه الحالة تأخذ طريق الصوفية .. والصوفية هى محاولة الوصول إلى درجة الإحسان .. بأن تبدأ بالتوبة، ثم الزهد فى هذه الحياة الدنيا، وليس معنى الزهد أن تبتعد عن العمل الجاد وأن تنشد الفقر، بل الزهد أن تعمل .. ولا مانع أن تكون من الأثرياء.. ولكن فى هذه

الحالة لا ينبغى أن تكون عبد المال .. ولكن أن يكون المال فى خدمتك وخدمة دينك .

والفقر فى التصوف لا يعنى أن يخلو جيبك من المال، ولكن يعنى: أن تكون مفتقراً إلى الله فى كل الأحوال: فى حالة الغنى .. وفى حالة الفقر .. فى حالة اليسر وفى حالة العسر .. فى حالة النجاح وحالة الفشل .. فى حالة الصحة وحالة المرض .. فى كل الأحوال يجب أن يظل الإنسان فى حاجة إلى المدد الإلهى .. فى حاجة إلى عون الله .. بمعنى : فى حالة دائمة للافتقار إلى الله.

عندما تكون مفتقر إليه فإنك لن تنساه ليل نهار.. سيظل الله نصب عينيك .. وما دام الله - جل جلاله - نصب عينيك فإنك سوف تخشاه .. لا يمكن أن تعمل عملاً يغضبه .. ولكن سوف تعمل على مرضاته من خلال عملك .. ومن خلال العمل على معاونة خلقه.

والتصوف الإسلامى الذى لا يخرج عن الكتاب والسنة ليس فيه ابتداع .. ولا شطط .. ولا جنوح .. ولا محاولة الجنوح إلى فلسفات دخيلة تغرق معتنقها فى أوهام وخبالات وخزعبلات .

ومن هنا فقد صدق الإمام رضى الله عنه .. حين قال :

« من تشرع ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف ولم يتشرع فقد تزندق، ومن تشرع ثم تصوف فقد تحقق »

والصوفية وهم يسلكون طريق الله .. وقد عرفوا الله فإنهم يخشونه ، وخشيتهم منه تدفعهم إلى العمل بما جاء فى الكتاب والسنة، والعمل بالكتاب والسنة يجعلهم يشعرون بحلاوة الإيمان فى قلوبهم ، وحلاوة الإيمان فى القلب تدفعهم إلى الشوق إلى ما عند الله ، والشوق إلى ما عند الله يجعلهم يرضون بقضاء الله وقدره .. وهذا الرضا يدخلهم إلى واحة المحبة .. المحبة لله.. ومحبة عباد الله .. ومحبة مخلوقات الله .. وبذلك يتحقق له المعرفة، ويتحقق له التناغم مع الكون والحياة .. فلا يشعر بغربة أو اغتراب .. بل المحبة فى الله تجعله ينتشى بما يشعر به من سعادة غامرة .. لو عرفها الملوك لحاربوهم عليها كما يقول بعض السادة الصوفية .

إنهم يعملون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

إن التصوف دعوة لتطهير القلب .. لأن يصبح باطنك كظاهرك .. لا رئاء ولا نفاق .. ولا نميمة .. ولا إخفاء شىء وإظهار شىء آخر .. ولا مداهنة لحاكم أو أمير أو رئيس .. الخشية من الله تجعلك توقن بأن الإنسان لن يصيبه إلا ما كتب الله له .

وإذا كانت سلوكيات الإسلام ومبادئه تتجه نحو الأخلاق

السليمة، فقد رأى الكثير من الباحثين أن التصوف فى حقيقته خلق.. أو على حد تعبير الكنانى :

« التصوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء »

أو كما يقول الشعراني فى الطبقات الكبرى .

علم التصوف علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة.

والتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة »

وإذا كان البعض قد جنح إلى التفلسف، ونادى بأمور يصعب على الدارس فهمها لغموضها ، ولتأثرها كما قلنا بفلسفات غربية ، إلا أن التصوف أخذ مجرى صحيحا على يد الإمام الغزالى، مجدد القرن الخامس الهجرى .. على أساس أن الإمام الغزالى فى تصوفه قرر أن التصوف الإسلامى الصحيح هو الذى لا يخرج عن الكتاب والسنة ، أو بمعنى أدق هو الذى يستمد بنيانه من الكتاب والسنة .. لأن فى الكتاب والسنة العصمة لمن يريد أن يسلك طريق الله .

وقد تأثر بهذه المدرسة الغزالية رجال الطرق الصوفية الكبار من أمثال: السيد أحمد الرفاعى المتوفى سنة ٧٠هـ، والسيد عبدالقادر الجيلانى المتوفى ٦٥١هـ .

ومدرسة أبى الحسن الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وتلميذه أبى العباس المرسى وتلميذهما ابن عطاء الله السكندرى .

★★★

والعبادة الحقة التى تتخذ وسيلتها إلى الله: الكتاب والسنة، هى التى تقرب العبد إلى ربه - جل علاه- فيشعر كما قلنا بحلاوة الإيمان، وجمال اليقين، ويشاهد مالا عين رأت. ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .. هذا الإحساس يملؤهم بالسعادة، ولكن الصوفى الحقيقى هو الذى لا يأبه بالكشوفات والفيوضات .. إنه يسعد بها .. ولا يتباهى بها .

إنها تقربه إلى الله ويستشعر جلاله .. ولكن هذه الكرامات لا تمس قلبه بالكبرياء والصلف وإلا أضاع نفسه .

إن ما يجب أن يكون عليه المرجع فى كل الأمور هو الكتاب والسنة .

ولذلك نرى الإمام أبا الحسن الشاذلى يقول :

مهما كنت فى درجة من درجات الطريق، ولو كانت درجة الخواص القاصدين إلى الحق أو عرض لك من الوسواس ما يشبه العلم الناشئ عن الإلهام والكشف، فلا تتوهم أنه كشف حقيقى حتى ترجع إلى الحق المقطوع به فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن الذين اهتدوا إنما اهتدوا بالاتباع لا بالابتداع»

التصوف إذن فى رأى المتصوفين من أصحاب الطرق .. المستمد من الكتاب والسنة .. هو جوهر الإسلام .. وهو روحه .. ومن هنا فقد رأى بعض الصوفية ومنهم الجنيد ، الذى يقول :

« فالفقه بغير تصوف جسد بلا روح .. والميت لا عبرة به ، والتصوف من غير فقه أمر لا يصلح أن يكون بابا للدخول إلى الحقيقة ، من حيث لا مدخل لها إلا من باب الشريعة وإلا فهى زندقة »

وهذا الاجتهاد الصوفى الذى يدفع بالإنسان إلى استشراف الجمال هو الذى جعلهم يتحدثون عن الأحوال والمقامات .

الأحوال التى يستشعرونها .

والمقامات التى يتدرجون إليها .

وهناك من الباحثين فى الصوفية من لا يفرق بين الحال والمقام .

ويقول الدكتور السيد محمود أبى الفيض المنوفى .. وهو يتحدث عن الأحوال والمقامات .. فمنها ما يصير مقاما ، ومنها مالا يصير مقاما :

« والسر فى ذلك ما ذكرناه من أن الكسب فى المقام ظاهر . والموهبة فيه باطن . وفى الحال ظهرت الموهبة وبطن الكسب . فلما كانت الموهبة فى الأحوال غالبة لم تتقيد ، وصارت الأحوال إلى

مقامات فقيدت لها .. ومقدورات الحق غير متناهية، ومواهبه فى الأحوال غير متناهية.

ولهذا قال بعضهم :

(لو أعطيت روحانية عيسى، ومكالمة موسى، وخلة إبراهيم عليه السلام لطلبت ما وراء ذلك ، من مواهب الله؛ لأن مواهب الله لا تنحصر وهذه أحوال الأنبياء ويمد بها الأولياء) .

ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى؛ لأن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم نبه على عدم القناعة، وقرع باب الطلب، واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام

« كل يوم لم أزد فيه علما؛ فلا بورك لى فى صبيحة ذلك اليوم »

وفى دعائه صلى الله عليه وسلم :

« اللهم ما قصر عنه رأيى ، وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى أو أمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو من خير أنت معطيه أحدا من خلقك فأنا أرغب إليك وأسألك إياه »

فاعلم أن مواهب الحق لا تنحصر . والأحوال مواهب، وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها ، وتنفد أعداد الرمال دون أعدادها. والله المنعم المعطى

والمقامات عند السهروردى هى :

التوبة ، والورع، والزهد، والصبر، والفقر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل ، والرضا .

والأحوال هى :

المحبة، الشوق ، الأنس، القرب، الحياء، والاتصال، واليقين، والبسط والفناء ، والبقاء

★★★

عالم الصوفية بأنواره وصفائه يهب صاحبه الصفاء النفسى.. السلام مع النفس ومع الآخرين، وليس هناك أجمل أن يكون الإنسان صافيًا مع نفسه .. ومع خالقه .. ومع الآخرين :

لأنه دائم الإنابة .. دائم الرجوع إلى الله ..

يقول إبراهيم التيمى :

« تمثلت نفسى فى النار، أعالج أغلالها وسعيرها ، وآكل من زقومها، وأشرب من غسلينها ..

فقلت: يا نفسى ، أى شىء تشتهين ؟

قالت :

أرجع إلى الدنيا فأعمل عملا أنجو به من هذا العذاب .

ثم تمثلتها فى الجنة .. مع حورها .. ألبس من سندسها ، وإستبرقها وحريرها .

فقلت يا نفسى :

أى شىء تشتهين ؟

قالت :

أرجع إلى الدنيا، فأعمل عملا أزداد به من هذا النعيم .

فقلت لها :

ها أنت فى الدنيا فاعملى .!

ولأن أهل الله هؤلاء صفت نفوسهم، وتأملوا الدنيا وأحوالها، ورأوا أن هذه الدنيا لا أمان لها .. وأن الأيام متغيرة متقلبة متموجة.. وأن الإنسان فيها كضيف سرعان ما يتركها .. وأنه عندما يتركها مهما يكن قد عمر بها، فإن الأيام تمر بسرعة ..

تمر مر السحاب .. ولو تأمل الإنسان ما مر به من أيام العمر، لوجد أن العمر أفلت كلمح البصر .. وأن كل ما مر به من ملذات كان وهما . وأن ما مر به من سعادة كان سراب، وأنه ترك الدنيا وليس معه درهم ولا دينار ساعتها يشعر الإنسان كم كان غبيا عندما ألهته هذه الحياة السريعة المرور. والذى لا يجنى الإنسان من ورائها إلا عمل صالح قدمه، أو خير أداه للناس .

كم كان هؤلاء الصوفية فاهمين أن الحياة الآخرة هى الحياة الحقيقية .. ومن هنا تحققوا من الحياة الدنيا .

يقول إبراهيم النخعى :

« يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء ».

مثلهم فى ذلك مثل سفينتين تبحران البحر؛ مرت الأولى وليس فيها شىء من متاع، فقال الآذن بالعبور: خلوا سبيلها. ومرت الأخرى مثقلة موقرة فقال : احبسوها حتى ننظر الذى فيها »

وأهل الله هؤلاء أكثر الناس فهما للناس .. وأكثر الناس معرفة بطبائعهم .. وأقدر الناس على مخالطة الأخيار والبعد عن الأشرار .. إنهم يتحابون فى الله .. فلا تباغض بينهم، ولا ضغينة يحملونها لأحد .

يحدثنا الإمام جعفر الصادق، عن نصيحه لوالده (محمد الباقر)

فيقول :

قال لى أبى : لا تصحبن خمسة، ولا تتخذنهم لك إخوانا .

قلت من هم ؟

قال :

الفاسق .. فإنه يبيعك بأكلة فما دونها .

قلت : وهل دون الأكلة شىء .

قال : نعم يطمع فيها ثم لا ينالها .

والبخيل .. فإنه يخذلك بماله وأنت أحوج ما تكون إلى معونته.

والكَذاب ، فإنه كالسراب يبعد منك القريب ويدنى البعيد .

والأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

وقاطع الرحم فإنه ملعون فى كتاب الله .

★★★

وإذا كانت الصوفية .. أو أهل الله .. بكل هذا الصفاء .. وبكل هذا النقاء .. وبكل هذه المعرفة .. فإنى أعنى بالصوفية هؤلاء الذين على علم وهدى ونور من ربهم يعرفون حقائق الشرح ويعملون بها.

ويتذوقون حلاوة الإيمان وينتشون بها .

إن الشريعة وسيلتهم إلى الحقيقة .

ولا أعنى بالصوفية: الأدعياء والأغنياء وأصحاب الجدل والسفسطة والكلام المعسول، والكذب ، وادعاء إسقاط التكاليف عنهم ؛ لأن المسافة بينهم وبين الله تسمح لهم بإسقاط التكاليف .

إن هؤلاء أدعياء وجهلة.

فأعظم من عرفته الحياة .. النبى الخاتم محمد صلى الله

عليه وسلم .. كان أقرب الناس إلى ربه ، ونال من شرف الكرامة أنه كان النبى الخاتم الذى أنزل عليه القرآن الكريم الذى تعهده الله بالحفظ، والذى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى السموات العلى، ورأى ما رأى من آيات ربه الكبرى.. ومع ذلك كان أكثر الناس عبادة لله، وكان يتعبد حتى تتورم قدماه، وعندما سألته السيدة عائشة : ألم يغفر لك ما تقدم من ذنبك ؟

كان جوابه

«أفلا أكون عبدًا شكورًا »

محمد الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، كان أكثر الناس خشية لله، وكان كثير القيام ، كثير الصلاة، كثير الصوم وكان يقول عليه الصلاة والسلام :

« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون أطَّت السماءُ وحق لها أن تَئطَّ.

ما فيها موضع أربع أصابع إلا فيها ملك ساجد لله،

والله لو تعلمون ما أعلم ؛ لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا ،

وما تلذذتم بالنساء على الفُرشِ، ولخرجتم إلى الطرقات تجأرون (تصرخون) »

وكان يقول فيما روى البخارى :

« أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له »

ويروى جابر بن عبد الله فيما رواه البخارى :

جاءت ملائكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم

قال بعضهم : إنه نائم وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان .

فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا مثلا.

فقالوا : مثله كمثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعى؛ دخل الدار، وأكل من المأدبة .

ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة.

فقالوا : أوِّلها له يفقهها

قالوا : فالدار الجنة والداعى محمد فمن أطاع محمد فقد أطاع الله .. ومن عصاه فقد عصى الله عز وجل .. ومحمد فرق بين الناس (بمعنى فرق بين الحق والباطل)

ومحمد النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام يقدم عليه أحد الوفود ويبكى عندما يقرأ لهم القرآن

فيسأله رئيس الوفد:

-أمن مخافك الذى بعثك تبكى ؟

فقال لهم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

- لقد بعثنى الله على صراط مستقيم فى مثل حد السيف، إن زِغْتُ عنه هلكت » .

رغم كل هذا .. فإن النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام لم يدع يوما سقوط التكاليف عنه كما يدعى الأغبياء الجهال الذين يدعون أن التكاليف الشرعية قد سقطت عنهم .. فلا صلاة .. ولا صيام .. ولا قيام .. ولا حج .. !!

مثل هؤلاء السفهاء هم الذين يلوثون الطرق الصوفية ، والصوفية الحقة منهم براء

* * *

ويقول الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود (فى تعدد الطرق الصوفية)

يقول السادة الصوفية :

التوحيد واحد .. والطريق إلى الله كنفوس بنى آدم ويعنى قولهم هذا: هو أن نتيجة سلوك الصوفية لا تختلف من قطر لقطر ولا من زمن لزمن، ولا من شخص لشخص؛ إنما التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى فى ذاته وتوحيده فى خلقه وفى تصرفه وفى عنايته بالكون ورعايته ألا له الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كله .

وإذا كان التوحيد واحدا وإذا كانت هذه الحقيقة من طبيعتها لا تتغير ولا تختلف فإن طريق القرب من هذه الناحية طريق تذوقها اليقين، فالطرق تختلف والثمرة واحدة .

أما السبب فى اختلاف الطرق فهو أن طبائع الناس وفطرهم مختلفة يصلح لبعضها مالا يصلح للبعض الآخر ، وقد

يصلح لسلوك طريق ولا يصلح لسلوك طريق آخــر ، وقــد يصلح طريق لشخص ولا يصلح لآخر.

والناس - منذ أن وجد الناس- يحاولون جهدهم التقرب من الله؛ لأن فى القرب من الله ، كمالا ذاتيا ، وذلك أن الله هو الكمال المطلق .

فالقرب منه سبحانه قرب من الكمال. وقد ورد « تخلقوا بأخلاق الله »

وورد « كونوا ربانيين» .

والناس كذلك يحاولون جهدهم القرب من الله؛ لأن من كان قريبا من الله كان الله قريبا منه بالرعاية والعناية والتوفيق. وسلك الناس طرقا إلى الله مؤسسة على الأساس التام ، وهو الشريعة .

سلك بعضهم طريق الذكر على الخصوص .
وسلك بعضهم طريق الصوم على الخصوص .
وسلك بعضهم طريق الصلاة على الخصوص وهكذا .

ونجحت بعض هذه المسالك فى الوصول إلى القرب من الله، فرسمها من نجحت معه طريقا، وبينها سبيلا، ودعا إليها مسلكا، وذاعت فكانت طريقة صوفية . وهذا منشأ الطرق .

إنها لا تعدو أن تكون إبرازا لزاوية معينة من زوايا الشريعة دون إهمال لسائرها ، بل من التمسك بسائرها، ومن أهمل شيئا من الشريعة؛ فليس من التصوف فى شىء .

فكلــهم من رسول الله ملتمــــــس

غرفًا من البحـر أو رشـفا من الديم

★★★

ونخـــتم هذه الكلمـــات بكلمـــة تلمـيـــذ أبى الحـــسن الشاذلى،أبى العباس المرسى :

« قد يكون الولى مشحونا بالعلوم والمعارف، والحقائق لديه مشهودة، فإذا أعطى العبارة كان ذلك كالإذن من الله له فى الكلام، فإن أذن له فى التعبير؛ تهاوت إليه قلوب المخلصين من الخلق عند سماعه، وجلبت لهم إشاراته، وقد ألبسهم الله ملابس هيبته، وأظهر لهم جلال عظمته، فتذللوا إليه وتعبدوا له، وكلما نزلوا بأنفسهم أرض العبودية رفعهم الله إلى سماء الخصوصية، فهم الملوك بالحقيقة، وإن لم تحقق عليهم الأعلام والبنود، وهم الأعزاء فى الخلق إن لم تسر فى ركابهم الجنود »

★★★

هذه هى رحلة مع أبى الحسن الشاذلى .. فى ورعه وزهده وتقواه .

فقد ترك مدرسة بارعة فى التصوف الإسلامى لا تحيد عن كتاب الله وسنة رسوله .

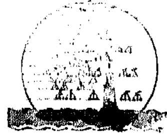
وكـان هو قـدوة لتـلامـيـذه الـذين كـانوا بـدورهـم نور هـداية للنـاس، وإرشـادهـم نـحـو الطريق إلى الله طـريق .. النور .. والـهـدى والـرشـاد .. سـائرين على هدى الرسول الأعظم محمد بن عبد الله عليـه الصـلاة والسـلام، مسـتمدين من كتاب الله وسنة رسـوله النـور الذى يهديهم سواء السبيل .

★ ★ ★

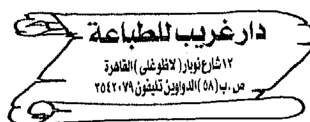
المراجع

- القرآن الكريم
- كتب الأحاديث الصحيحة
- المنقذ من الضلال .... الإمام الغزالى
- إحياء علوم الدين .... الإمام الغزالى
- الطبقات الكبرى .... عبد الوهاب الشعرانى
- الرسالة القشيرية .... للإمام القشيرى تحقيق د. عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف
-لطائف المنن .... لابن عطاء الله السكندرى.
- ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه .... د. أبو الوفا التفتازانى
- أبو الحسن الشاذلى (الصوفى المجاهد العارف بالله) .... د. عبد الحليم محمود
- أعلام التصوف .... طه عبد الباقى سرور

- التصوف الثورة الروحية فى الإسلام............ د . أبو العلا عفيفى
- التصوف الإسلامى الخالص.................السيد محمود أبوالفيض المنوفى
- التصوف فى الميزان .... د . مصطفى غلوش
- االأدب الصوفى اتجاهه وخصائصه .... د . صابر عبد الدايم
- الأدب فى التراث الصوفى ....د . محمد عبد المنعم خفاجى
- الموعد الله .... خالد محمدخالد
- بيوت الله .... مأمون غريب
- بين العقل والوجدان.............................. د . محمد كمال جمعة
- الطرق الصوفية فى مصر .... د . عامر النجار
- محمد المثل الكامل.......................... محمد أحمد جاد المولى بك
- النبى العربى .... أحمد التاجى



الفهرست


دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٢٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

إن الصالحين فى كل عصر هم القدوة والمثال ؛ فقد كانت حياتهم إثراء للحياة ؛ لأنهم عاشوا بالله ولله ؛ فأحبهم الله وأحبهم عباد الله ؛ فعاشوا فى ضمير الناس لأنهم كانوا أنفع الناس للناس .

وأبو الحسن الشاذلى واحد من هؤلاء الصالحين المتصوفين الذين اتخذوا من الرسول وأصحابه قدوة بعيدًا عن شطحات الذين يدّعون الصوفية التى ابتعدت عمَّا جاء به الإسلام من بساطة وعمق وتوحيد .

والكتاب يتحدث عن فقه أبى الحسن وتصوفه وحبه للناس وسفرياته الطويلة وتلاميذه وأوراده .

هانى أحمد غريب